# الكتب التاريخية
## في العهد القديم

د. مراد كامل

الكتاب: الكتب التاريخية في العهد القديم
الكاتب: د. مراد كامل
الطبعة: ٢٠٢٢

الناشر: وكالة الصحافة العربية ( ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com



دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

كامل ، مراد
الكتب التاريخية في العهد القديم/ مراد كامل
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٢٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٧ – ٢٨٣ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٥٦٩٤ / ٢٠٢١

# الكتب التاريخية
## في العهد القديم

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

# مقدمة

إن دراسة العهد القديم تعالج نشأة كتاب العهد القديم وتاريخه وتشمل ثلاثة موضوعات:

أولا: تاريخ نص أسفار العهد القديم.

ثانياً: بحث الظروف والزمن التي نشأ فيها كل سفر على حدة.

ثالثاً: تاريخ جمع أسفار العهد القديم وتحديده وقانونية الأسفار.

وتهدف دراسة العهد القديم إلى استقصاء نشأة هذه المجموعة من الأسفار وتاريخها، وهذه الأسفار تتضمن كلمة الوحي، وهي كتاب اليهودية المقدس الذي اعتبرته المسيحية أيضاً كتاباً مقدساً.

وقد سميت هذه الأسفار في كتاب العهد الجديد بالكتب المقدسة:

يقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ١: ٢ إن الله سبق فوعد بالمسيح على لسان أنبيائه في الكتب المقدسة، ويقول بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تيموناوس ٣: ١٥ "وأنك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة".

وسميت هذه الأسفار مقدسة لما حوته من وحي إلهي.

ولم تطلق على هذه الأسفار مجتمعة تسمية شاملة.

أما التعبير عن أسفار العهد القديم بكلمة ناموس فقد ورد في إنجيل

يوحنا ١٠: ٣٤ "أجابهم يسوع أليس مكتوباً في ناموسكم" وفي رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤: ٢١ "مكتوب في الناموس" وهذا لم يقصد به تسمية اصطلاحية شاملة للأسفار، ولكن هذه التسمية هي على سبيل إطلاق الجزء على الكل فكلمة ناموس هي اللفظة اليونانية "نوموس" أي قانون وهي تقابل "توراة" العبرية. وقد سمي كتاب العهد القديم كله باسم الجزء الأول منه أي التوراة، وهي خمسة أسفار موسى، التي تعرف بكتب القانون أو الشريعة.

وكان كل سفر من الأسفار يسمى سفراً على حدة يقول دانيال ٩: ٢ "فهمت من الأسفار" وكلمة سفر ترجمها اليونان "بيبلوس" وهو الاسم اليوناني للمدينة الفينيقية جُبيل، التي كانت مركزاً لتجارة الأوراق البردية التي تصدرها مصر. وقد ساد استعمال كلمة بيبلوس للدلالة على جميع الكتب المقدسة عند الكتاب المسيحيين. ومنذ أواخر القرن الثاني الميلادي يتحدث آباء الكنيسة عن العهد القديم والعهد الجديد. وكلمة عهد لم يقصد بها هنا "وصية" وإنما قصد بها "ميثاق" أو "معاهدة اتفاق"، وذلك بحسب ما جاء في سفر الخروج ٢٤: ٧ "وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب".

أما التمييز بين العهد القديم والعهد الجديد فقد أخذ هذا التعبير من الأنبياء يقول أرميا في ٣١: ٣١، ٣٢ "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع من بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم" كما أُخذ من إنجيل متى حيث ورد في إنجيله ٢٦: ٢٨ "لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا".

وكذلك ذكر بولس الرسول العهد الجديد في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ٣: ١٤.

وأسفار الكتاب المقدس هي قاعدة الإيمان وحياة المؤمنين. وتسمى قانونية لتمييزها من الكتب الدنيوية. وقد استخدم بولس الرسول كلمة قانون ليعبر عن الأسفار وذلك بالمعنى الأخلاقي، في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠: ١٣. وقد أتفق آباء الكنيسة على أن أساس قانونية السفر، هو الوحي.

وقد ورد معنى الوحي في الكتاب المقدس يقول بطرس الرسول في رسالته الثانية ١: ٢١ "لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس".

ويقول بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٣: ١٦ "كل الكتاب هو موحي به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البِر".

فالوحي هو تأثير خارق للطبيعة من الله على الكاتب الذي يختاره.

إن دراسة العهد القديم تطورت على مر الأجيال. كان يعتمد قبلا على دراسة لغات الكتاب المقدس وتفسير نصوصه وتاريخه وجغرافيته والآثار التي تتصل بما ورد فيه. ثم أخذت دراسة العهد القديم تتحدد شيئاً فشيئاً حتى اقتصرت في النهاية على الناحيتين التاريخية والأدبية التي تتصل بأصل تقنين كل سفر وانتقال النص من جيل إلى جيل. فدراسة العهد القديم تهدف إلى أن تقرر علمياً كيفية تقنين الأسفار المقدسة.

## تقسيم العهد القديم وعدد أسفاره:

كان كل سفر يكتب في درج قائم بذاته، ولهذا لم تنشأ مسألة ترتيب الأسفار ولم تظهر أهميتها إلا حين أخذ في جمع الأسفار المقدسة.

وقد رتبت الترجمة السبعينية أسفار العهد القديم على وجه يختلف بعض الشيء عن الوجه الذي اصطلح عليه فيما بعد، ووضعت لكل سفر عنواناً، وذلك على المنهج الذي كان سائداً في مصر، لأن الأسفار كانت تعرف قبلا بالعبارة الأولى من السفر.

ويضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفراً، قسمت إلى ثلاثة أقسام: التوراة أي الناموس والأنبياء والكتب.

فالتوراة وهي كتب موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية). والأنبياء قسمان: الأوائل والأواخر، فالأوائل سفر يشوع والقضاة وسفرا صموئيل وسفرا الملوك، والأواخر نبوءات اشعياء وارميا وحزقيال والنبوات الأثنتا عشرة الصغار من هوشع إلى ملاخي، وكانت تعد سفراً واحداً.

والكتب هي: المزامير والأمثال وأيوب ونشيد سليمان وراعوث ومراثي ارميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا وسفرا أخبار الأيام.

ولم ترتب هذه الأسفار على حسب الأزمنة التي كتب فيها كل واحد منها.

كان اليهود يقسمون أسفار موسى الخمسة إلى أربعة وخمسين قسما

بعدد أيام السبت في السنة، وتسمى "فَرَشَة" بالعبرية، بحيث تتم قراءتها على مدار السنة، وكانت قراءة الأسفار الخمسة يتبعها قراءة أجزاء من الأنبياء.

جاء في أعمال الرسل ما يدل على ذلك أعمال ١٥: ٢١ "لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به، إذ يُقرأ في المجامع كل سبت".

وفي أعمال ١٣: ١٥ يقول: "وبعد قراءة الناموس والأنبياء، أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة، إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا".

وأطلق اليهود على الكتب الخمسة وهي: نشيد سليمان وراعوث ومراثي ارميا والجامعة واستير اسم "محلوت" أي مجلات أو أدراج الإعياد، من "مجِلة" بالعبرية أي درج أو كتاب (والمجلة في العربية الكتاب أو الصحيفة تجمع طرائف الحكمة)، وهذه الأسفار تقرأ في الأعياد الكبرى عندهم، فنشيد سليمان يقرأ في عيد الفصح وهو ذكرى ليلة خلاصهم من العبودية عندما قتل الملاك بكر كل بيت من المصريين وتجاوز عن بيوت إسرائيل، وراعوث في عيد الخمسين ويقع في اليوم الخمسين بعد ثاني الفصح وهو ذكرى تسلم موسى اللوحين وهو عيد الحصاد أيضاً، والمراثي تقرأ في التاسع من آب، وهو يوم احتراق الهيكل، والجامعة في عيد التابوت، وأستير في عيد بوريم.

## العهد القديم:

العهد القديم هو مجموعة من الأسفار المقدسة التي أعلن الله فيها ذاته للبشر وكان هذا الإعلان للشعب اليهودي أولاً.

والعهد القديم عبارة عن أسفار متفرقة لكتّاب مختلفين عاشوا في أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام، ثم ضمت هذه الأسفار في كتاب واحد.

والأسفار تختلف في موضوعاتها وأسلوبها، ففيها تاريخ وفيها تراجم أشخاص وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكمة وأمثال ونبوءات. وللكتاب هدف واحد يربط بين أجزائه المختلفة، وهو الفدى والكشف عن طريق الخلاص.

# مضمون العهد القديم

## من خلق العالم إلى الطوفان:

خلق الله الأرض وما يتصل بها في ستة أيام، وكل يوم من هذه الأيام هو دور مجهول مداه. وخلق الله الإنسان الأول في اليوم السادس، خلقه الله على صورته، وأعطاه سلطاناً على جميع المخلوقات، ثم جعله في الفردوس الأرضي الذي يدعى جنة عدن، وذلك مع حواء امرأته التي خلقتها من ضلع من أضلاعه. ولم يحفظ آدم وحواء شريعة الله وخالفا وصية الله لهما، وأطاعا الشيطان بأن أكلا من شجرة معرفة الخير والشر. ففقدا سعادتهما، وأصبحا عرضة للموت، وطردهما الله من الفردوس الأرضي. وبسببهما دخلت الخطيئة والموت إلى العالم. وتحنن الله على الجنس البشري، فوعد نسل المرأة بأن يسحق رأس الحية.

ويخبرنا سفر التكوين بأولاد آدم ونسله، كما يخبرنا بأن الخطيئة بدأت في العالم منذ أن قتل قايين أخاه هابيل. وكان نسل قايين شريراً، ولكن الأرض لم تخل من أناس عرفوا الله وعبدوه وكان معظمهم من نسل شيث. وفسد نسل شيث مع الزمن واختلط بالأشرار فامتلأت الأرض إثما وعم الفساد الأرض، فأرسل الله الطوفان وأهلك جميع الناس ما عدا نوحا وأهل بيته لأنه كان يخاف الله، وكانت نجاته بوساطة فلك بناه بأمره تعالى وأوى إليه حين بدأ الطوفان.

## من الطوفان إلى دعوة إبراهيم:

لما خرج نوح من الفلك بعد الطوفان أقام الله معه عهداً. وكان لنوح ثلاثة أبناءهم. سام وحام ويافث، ومن نسلهم خرج جميع سكان الأرض. وعزم نسل نوح بعد مرور زمن للطوفان على بناء برج بابل، غير أن الله بلبل ألسنتهم حتى لا يتافهموا على معصيته. وعمت الوثنية في العالم، وشاء الله أن يختار شعباً ليحفظ الدين. ولهذا دعا إبراهيم من مدينة أور وأمره أن يترك وطنه ويذهب إلى أرض كنعان، ووعده أن يكثر نسله ويعطيه أرض كنعان ميراثاً، إن حافظ هو ونسله على إطاعة الله.

## من دعوة إبراهيم إلى خروج إسرائيل من أرض مصر

أقام إبراهيم في أرض كنعان مع ابن أخيه لوط، ولم يكن لإبراهيم ولد، وكان أهل كنعان يعبدون الأوثان، وكان الشر والفساد شائعاً بينهم، وبخاصة سكان سدوم حيث يسكن لوط. فأخرج الله لوطاً وامرأته وبناته من سدوم وأنزل عليها ناراً من السماء وجعل في تلك المنطقة بحراً. وأولد إبراهيم وهو ابن مئة سنة اسحق وأولد اسحق يعقوب. وكان ليعقوب أثنا عشر ابنا أصبحوا هم رؤساء أسباط إسرائيل. واشتهر بين هذه الأسباط سبط لأوى الذي منه الكهنة، وسبط يهوذا الذي كان أشد بأساً من الجميع.

أما يوسف أحد أولاد يعقوب فحسده أخوته وأبغضوه وباعوه للاسمعيليين، الذين أنزلوه مصر وباعوه هناك عبداً. ورفعه الله إلى أعلى منصب في مصر. وبعد سنين اضطر يعقوب أبوه بسبب الجوع الذي ساد

أرض كنعان أن ينزل إلى مصر مع أهل بيته. وبعد موت يعقوب ويوسف نما بنو إسرائيل في أرض مصر وكثر عددهم، حتى أن فرعون خاف عاقبتهم وحاول إبادتهم. وقام موسى بأمر الله لخلاصهم وأظهر معجزات، مما اضطر فرعون أن يطلقهم.

## من خروج بني إسرائيل من مصر إلى بناء هيكل سليمان:

عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر بعد خروجهم من مصر، ووصلوا إلى سيناء، وهناك أعطاهم الله على يد موسى الوصايا العشر والشرائع. وظل بنو إسرائيل في البرية أربعين سنة بقيادة موسى، ثم خلفه في القيادة يشوع بن نون. وحارب يشوع أهل كنعان وانتصر عليهم. ومات يشوع فانتقل الحكم إلى القضاة الذين أقامهم الله من وقت لآخر، إلى أن اختار لهم شاول بن قيس ملكا عليهم بوساطة صموئيل النبي آخر القضاة.

وبعد موت شاول الملك الأول تولى الملك داود بن يسي وكان نبياً أيضاً. وخلف داود سليمان وهو الذي بنى هيكل أورشليم.

## من بناء هيكل سليمان إلى سبي بابل:

بعد موت سليمان جلس ابنه رحبعام على العرش، غير أن عشرة أسباط من إسرائيل عصوا عليه وخرجوا عن طاعته واستقلوا، وبقى سبطات تحت سلطته هما: يهوذا وبنيامين، وانقسمت المملكة إلى قسمين: الشمالي وسمي مملكة إسرائيل وقوامها عشرة أسباط، وجنوبي ومسي مملكة يهوذا وهي مؤلفة من سبطين. وبقيت مملكة إسرائيل نحو مائتين وخمسين سنة، وكان أول ملوكها يربعام. وخاف يربعام أن يرجع رعاياه إلى طاعة

رحبعام ملك يهوذا، إذا صعدوا إلى أورشليم في الأعياد ليعبدوا الله في الهيكل، فأقام عبادة كاذبة في مملكته، وصنع عجلين من ذهب للشعب عبدوهما باسم إله إسرائيل، وحدد أعيادا وعين كهنة لعبادته، وبذلك أصبحت ديانة مملكة إسرائيل ديانة وثنية، وظلت هذه الديانة مدة حكمه وحكم خلفائه. وتمسك ملوك إسرائيل بالوثنية التي أسسها يربعام. وأرسل الله إليهم نبياً إثر نبي لكي يرجعهم عن وثنيتهم إلى الطريق المستقيم. وكان أعظم هؤلاء الأنبياء إيليا الذي تنبأ في أيام آخاب. واستولى الأشوريون على مملكة إسرائيل، وسقطت عاصمتها السامرة، في أيام هوشع آخر ملوكها، وسبي شلمناصر ملك آشور الأسباط العشرة وحملهم إلى بلاده، فتشتتوا هناك ولم يعودوا إلى أرضهم.

وأما مملكة يهوذا فبقيت مائة وثلاثين سنة بعد سقوط مملكة إسرائيل وسقطت عاصمتها أورشليم التي كان فيها هيكل سليمان. ودخلت الوثنية أيضاً تلك المملكة ولذلك أرسل الله لهم أنبياء بين الحين والحين يوبخونهم على ضلالهم ويتهددوهم بعقاب الله الشديد ويتنبأون لهم بمجيء المخلص. وكان إشعيا أعظم هؤلاء الأنبياء. وقام بين ملوك يهوذا من سعى إلى إصلاح الشعب ورده عن وثنيته مثل يهوشافاط وحزقيا ويوشيّا، غير أن الشعب لم يسمع لهم.

وبعد أن تهددهم الله مدة طويلة وأدبهم بضربات شتى بوساطة الملوك الذين حولهم هاجمهم نبوخذ نصر ملك بابل، وحاصر أورشليم في أيام صدقيا آخر ملوك يهوذا، واستولى عليها وأحرق المدينة والهيكل وسبي الشعب إلى بابل.

## من سبي بابل إلى ميلاد المسيح:

بقى بنو إسرائيل في سبي بابل سبعين سنة كما تنبأ بذلك أرميا النبي. وبعد نهاية تلك الفترة سمح كورش ملك الفرس لليهود أن يعودوا إلى بلادهم، كما سمح لهم بإعادة بناء هيكل أورشليم، ولكن العمل تأخر إلى أيام دارا الذي أمر بإعادة بناء الهيكل. وقام في ذلك الوقت النبيان حجّي وزكريا وكانا يحثانهم على العمل.

وبعد مضي سنوات قدم النبي نحميا إلى اليهودية بأمر الملك ارتحسستا ملك الفرس، وسعى في بناء أسوار أورشليم وتنظيم أمورها.

وبعد أن عاد اليهود إلى بلادهم خضعوا لحكم الفرس، ثم لحكم ملوك سوريا، وحكم الرومان، الذين أقاموا هيرودس ملكاً على اليهودية وفي أيامه ولد المسيح.

# أسماء الشعب العبري

## عبري (عبراني)- يهودي- إسرائيلي:

### عبري:

(عبراني) (في العبرية. عبري والجمع عبريم): أول ما تقابلنا هذه التسمية في سفر التكوين ١٤: ١٢ "فأتى من نجا وأخبر أبرام العبراني" وتفسر في النص العبري بمعنى العبور أي الانتقال من شط نهر إلى شطه الآخر أو من مكان إلى مكان. ويرى بعض العلماء أن اللفظة هي نسبة إلى عابر (بالعبرية: عِبِر) أحد أجداد إبراهيم (تكوين ١٠: ٢١ و٢٥، ١١: ١٤- ١٧).

ولفظ عبري كان يدل أولا على غربة الشعب، وكان يرد على لسان الشعوب التي كان هذا الشعب يعيش بينها متغرباً، جاء في تكوين ٣٩: ١٤ على لسان امرأة فرعون وهي تذكر يوسف "قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا"، وفي تكوين ٣٩: ١٨ تقول "دخل إلى العبد العبراني"، ويقول رئيس سقاة فرعون عن يوسف (تكوين ٤١: ١٢) "وكان هناك معنا غلام عبراني". وفي خروج ١: ١٦ يقول فرعون للقابلتين "حيثما تولدان العبرانيات"، وفي خروج ١: ١٩ "فقالت القابلتان لفرعون: إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات"، وفي صموئيل الأول ٤: ٦ "فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف، فقالوا ما هو صوت هذا الهتاف العظيم في

محلة العبرانيين".

وفي صموئيل الأول ٢٩: ٣ "فقال رؤساء الفلسطينيين: ما هؤلاء العبرانيون، فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين: أليس هذا داود عبد شاول ملك إسرائيل الذي كان معي هذه الأيام..."، وفي ١٣: ١٩ ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا: لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً، بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لكي يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله".

وواضح أن الفلسطينيين يعبرون عن اليهود بكلمة عبرانيين، ويعبر عنهم صموئيل بلفظة إسرائيل.

وترد لفظة عبراني في كلام اليهود عن أنفسهم، وذلك في سياق كلامهم، حين يريدون أن يفرقوا بينهم وبين الشعوب الأخرى يقول في تكوين ٤٣: ٣٢ "لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين"، وفي تثنية ١٥: ١٢ "إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك". وجاء في صموئيل الأول ١٣: ٣ "فسمع الفلسطينيون وضرب شاول بالبوق في جميع الأرض قائلا: ليسمع العبرانيون، فسمع جميع إسرائيل"، وفي إرميا ٣٤: ٩ "أن يطلق كل واحد عبده، وكل واحد أمته العبراني والعبرانية حرين، حتى لا يستعبدهما أحد"، وفي أرميا ٣٤: ١٤ "في نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبراني الذي يبع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك".

وواضح من هذه النصوص أن المقصود بكلمة عبري هنا، هو المقابلة بين اليهود وغير اليهود.

ثم تغيير مدلول اللفظة منذ سبي الأسباط العشرة إلى نينوي وتشتتهم في البلاد، ولم يتبق سوى يهوذا وبنيامين، أما الأسباط الأخرى فتفرقت بين الشعوب المختلفة، وتسمى الشعب يهوذاً نسبة إلى السبط الأقوى، وبطل استعمال لفظة عبرانيين التي كانت تدل على كل الشعب، وأخذت معنى جديداً.

كان لتشتت الشعب اليهودي بين الشعوب المختلفة، أثره في أنهم أخذوا بكثير من عادات الشعوب التي حلوا بينها وأدخلوها على عبادتهم، وأكثرهم أهمل اللغة العبرية وتكلم بلغة البلاد التي سكنها، ولهذا فهم يعتبرون يهوداً، ولكنهم لا يعتبرون عبريين لأنهم لا يتكلمون اللغة العبرية، واستعملوا الترجمة السبعينية اليونانية بدلاً من الأصل العبري.

ودخل كثير من الوثنيين اليهودية، وعدهم اليهود منهم، ولكن اليهود أرادوا أن يميزوا بين اليهود الأصليين وبين الدخلاء، ولهذا أصبحت لفظة عبرانيين تدل على اليهود المقيمين في فلسطين واليهود المتغربين الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم القديمة، أما اليهود المتغربين الذين فقدوا لغتهم العبرية وعاداتهم القديمة وكذلك الدخلاء في اليهودية، فلم يحسبوا إلا يهوداً، وهؤلاء لا يحق لهم الاشتراك في نعم الشعب الخاصة.

ونلاحظ هذا التمييز في سفر أعمال الرسل ٦: ١ يقول "وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين، أن

أراملهم كن يغفل عنهن في الخدمة اليومية" فكلمة عبرانيون هنا استعملت مقابل اليونانيين أي الدخلاء من اليونان. ويقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيليبي ٣: ٥ "من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين" وفي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١١: ٢٢ يقول "أهم عبرانيون فأنا أيضاً، أهم إسرائيليون فأنا أيضاً، أهم نسل إبراهيم فأنا أيضاً" ولهذا سميت اللغة بالعبرية لا باليهودية.

فبولس الرسول يقول، أنا عبري بالرغم أنه كان روماني التبعية، ولكنه اعتبر نفسه عبرياً لأنه كان من أصل يهودي ويعرف اللغة العبرية ومتقناً للعلوم الدينية. وهو يقول عن نفسه في أعمال الرسل ٢٢: ٣ "أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيليكية".

**يهودي:**

وهو لفظ منسوب إلى يهوذا أحد أولاد يعقوب الأثنى عشر للدلالة على أحد أفراد هذا السبط، وظل هذا المدلول مستعملا إلى أن سُبي الأسباط العشرة على نينوي وبقى من الشعب يهوذا وبنيابين فقط.

ومن ثم حل اسم يهودي محل عبري للدلالة على نسل إبراهيم.

وهذه التسمية لا تدل على فخر شخصي مثل إسرائيلي أو على الإيمان بالله والتمسك بالعادات القديمة مثل عبري، وإنما كان يدل لفظ يهودي على ذلة الشعب وخضوعهم لحكام البلاد التي يسكنوها، وخجلهم بعد أن انفصلوا عن إخوتهم. فالأسباط العشرة اتخذوا لأنفسهم اسم إسرائيل وهو اسم سكان الجزء الشمالي من فلسطين، وتركوا للسبطين

الباقيين الاسم الذي يزدرونه في ذلك الوقت وهو يهودي.

وأول ما وصلنا ذكر هذا الاسم، وقد سمي به سبط يهوذا وسبط بنيامين، ما جاء في ملوك ثاني ١٦: ٦ "في ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام أيلة للآراميين، وطرد اليهود من أيلة، وجاء الآراميون إلى أيلة، وأقاموا هناك إلى هذا اليوم". واستعمله أرميا عدة مرات، وذلك قبل رجوع الأسباط. وغلب إطلاقه في سفر أستير وبعد الرجوع من سبي بابل، على اليهود الذين في السبي.

وأطلقت هذه التسمية على كل اليهود، وذلك بعد أن انتقل الأسباط العشرة إلى نينوي، ونسى تسميتهم بعبريين بالمعنى الأصلي، وأصبح لفظ يهودي اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب، ولو كانوا من الأسباط العشرة، بشرط أن يعودوا إلى فلسطين مع الباقين.

ونرى من هذا أن لفظة يهودي قد تغير مدلولها، على العكس من لفظة عبري التي اقتصر مدلولها على تمييز اليهودي عن الأجنبي من الشعوب، ويقول بولس الرسول في أعمال الرسل ٢١: ٣٨، ٣٩ حين سأله الأمير "أفلست أنت المصري الذي صنع قبل هذه الأيام فتنة، وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة؛ فقال بولس أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية" أي أن بولس الرسول يقول بأنه غير مصري ولا كيليكي بل يهودي وإن كان من مدينة أجنبية. ويقول في أعمال الرسل ٢٢: ٣ وهو يدلل على قوميته أمام الأمير واليهود "أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية"، وقال في رسالته إلى

أهل رومية ٢: ٩- ١١ وهو يفرق بين اليهود والأجانب "على كل نفس إنسان يفعل الشر، اليهودي أولا ثم اليوناني، ومجد وكرامة وسلام لكل يفعل الصلاح، اليهودي أولا ثم اليوناني، لأن ليس عند الله محاباة"، وفي رسالته إلى أهل رومية كان يقابل دائماً بين اليهودي وغيره من الشعوب ولم يذكر الإسرائيلي بدلا من اليهودي.

وكذلك كانت الشعوب حين تذكر اليهود بالنسبة إليهم، تعبر عن ذلك بكلمة يهودي، فيقول المجوس وهم يسألون عن المسيح "أين هو المولود ملك اليهود" متى ٢: ٢ ولو كان المجوس يهوداً لقالوا "أين هو المولود ملك إسرائيل". ولما صلب المسيح وضع الرومان على الصليب تهمته وهي "يسوع الناصري ملك اليهود" (متى ٢٧: ٣٧) ولكن رؤساء الكهنة لما رأوا المسيح على الصليب قالوا: "إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به" متى ٢٧: ٤٢.

**إسرائيلي:**

هي التسمية التي يفخر بها اليهود ويعتزون بها. وجاء أول ذكر لهذا الاسم في الكتاب المقدس، في تكوين ٣٢: ٢٢- ٣١ "ثم قام (يعقوب) في تلك الليلة، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له ما أسمك، فقال:

يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب، وقال: أخبرني ما أسمك، فقال لماذا تسأل عن اسمي؛ وباركه هناك".

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل، قائلا. لأني نظرت الله وجهاً لوجه (فنيئيل بالعبرية معناها وجه الله) ونجيت نفسي، وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء".

ومن ثم صار اسم يعقوب ونسله "إسرائيل" أي مجاهداً مع الله وقادراً. فاجتمع في دلالة هذا الاسم ما يسبب السرور والرجاء عند اليهود.

فإن نسل إبراهيم يشتركون فيه مع إسماعيل وأولاده ومع أولاد قطورة التي أخذها بعد موت سارة ومع أولاد أدوم أي عيسو، أما اسم إسرائيلي فلا يحتمل إلا نسل يعقوب، ودلالته المجاهدة والغلبة والقدرة في التوصل إلى إتمام الوعود.

ولما كان الله هو الذي أعطى هذا الاسم ليعقوب وغير اسمه القديم، فإن اليهود في كل عصورهم يفخرون بهذا الاسم ويميلون إلى استعماله، لأن فيه دلالة على الوعد والرجاء، وإشارة إلى مجدهم. وهم تحت اسم إسرائيل ينتظرون ملكوت الله والخلاص من أعدائهم.

وكانت كلمة إسرائيل في عصر المسيح تؤدي معنى المدح والافتخار، فحين رأى المسيح من يستحق المدح قال "هو ذا إسرائيلي حقاً لا غش

فيه" يوحنا ١١: ٤٧ ويقول نثنائيل مخاطباً المسيح "أنت ملك إسرائيل" يوحنا ١: ٤٩. وفي ابتهال مريم العذراء تقول "عضد إسرائيل فتاة ليذكر رحمة" لوقا ١: ٥٤.

وكان رسل المسيح حين يخاطبون اليهود ينادونهم بهذه التسمية حتى يستميلوهم. ورد في أعمال الرسل ٢: ٢٢ "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال"، وفي أعمال الرسل ٣: ١٢ "فلما رأى بطرس ذلك، أجاب الشعب، أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا" ويتوجه بولس الرسول إلى الشعب بالتعبيرات الآتية على التوالي: أعمال الرسل ١٣: ١٦، ١٧، ٢٦ "أيها الرجال الإخوة، أيها الرجال الإسرائيليون، أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم". ويقول بولس الرسول في رسالته إلى أهل رومية ٩: ٣- ٥ "فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد".

والواقع أن دلالة هذه الألفاظ كما بيناها لا تزال قائمة إلى اليوم، فلفظة عبري تدل الآن على ما يتصل بالعادات واللغة العبرية القديمة، فنقول: اللغة العبرية، أو العادات العبرية الخ. ولا نسمي الآن اليهود بالعبريين. أما لفظة يهود فتطلق على طائفة من الناس تعيش بين الشعوب المختلفة فيقال: يهودي ألماني أو يهودي نمساوي أو يهودي روسي أو يهودي أمريكي وهكذا.

أما لفظة إسرائيل فيعبر بها اليهود الآن عن كل نسل إبراهيم من يعقوب (إسرائيل) بالجسد.

والمصطلح "إسرائيل" في العهد الجديد وعند المسيحيين عامة يقصد به الكنيسة المسيحية المثلى أو جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني، وهم يمثلون جميع الشعوب وكل الأجناس.

ومما هو جدير بالذكر أن اسم إسرائيل ورد في النقوش المصرية القديمة، وذلك في أنشودة النصر التي تشير إلى انتصار مر إن بتاح (منفتاح) في فلسطين حوالي عام ١٢٢٩ ق.م. على قبائل هناك، تقول الأنشودة "أما قوم إسرائيل فقد أتلفت بلادهم وخُربت" ونستخلص من النص أن الإسرائيليين سكنوا فلسطين في عصر هذا الملك؛ ويصف النص بلادهم على أنها جدباء لا أثر للنبات فيها. ولا يجدي هذا النص نفعا في توضيح خروج بني إسرائيل من مصر، ولو أن من الغريب أن تذكر النصوص المصرية لأول مرة الإسرائيليين في عصر ملك، كان أبوه هو رمسيس الثاني الذي تحدثت عنه التوراة بأنه استعان بالإسرائيليين في بناء أكثر من مدينة، وبخاصة العاصمة الجديدة "بيت رمسيس".

وفي سنة ١٩٦٥ كشفت بعثة جامعة ستراسبرج عن نص في معبد لامينوفيس الثالث بمنطقة سولب في النوبة السودانية، فيه ذكر لقبائل الصحراء البدو ومنهم قبيلة "يهوه" من عصر أمينوفيس الثالث (١٤١٣–١٣٧٧ ق.م.). وكان أمينوفيس الثالث قد جعل من نفسه إلها قدس في المعابد، وبخاصة معابد بلاد النوبة.

فهل هذا الاسم الذي كشف عنه حديثاً له صلة بإسرائيل أو بقبيلة إسرائيلية؟

# طبقات رجال الدين عند اليهود

ترد في كتب العهد القديم ألقاب، تدل على وظائف معينة عند اليهود هي:

**الآباء:**

وهم الذين عاشوا في عصور قديمة، ومنهم آدم وشيث وأخنوخ، ممن عرفوا قبل الطوفان. ومنهم نوح وأولاده، ممن عرفوا بعد الطوفان، ومنهم إبراهيم وأسحق ويعقوب، وهم الذين ذكرهم العهد القديم على أنهم أصول لشعوب كبيرة. وهؤلاء الآباء هم رؤساء شعبهم الذين كانوا يدبرون أموره.

**الأنبياء الكتبة:**

هم الذين أقامهم الله على بني إسرائيل ليخدموا تدابيره الإلهية، وقد عاش هؤلاء في مدة تقرب من ألف عام. وكان هدفهم واحداً وتعاليمهم متفقة، يتنبئون ببركات الله على الجنس البشري.

**الكهنة:**

هم الذين يتولون تقدمة الذبائح لله، والتشفع لديه من أجل الشعب. وكان الآباء والإخوة الأبكار والأمراء هم الذين يقدمون الذبيحة من أجل الشعب، أو كان كل واحد منهم يقدم الذبيحة عن نفسه، كما هو واضح من تاريخ هابيل وقايين ونوح وأيوب وإبراهيم، وكان ذلك قبل دعوة هارون. وبعد خروج بني إسرائيل من مصر، كان الكهنوت في يد سبط

واحد هو سبط هارون، وكان على ثلاث درجات: رؤساء كهنة، وكهنة، ولاويين.

وكان رئيس الكهنة أعظم الأشراف بين الإسرائيليين، لأن الله كان يعلن إرادته لبني إسرائيل عن طريقه. وكانت وظيفته ميراثا في آل هارون. وكان البكر، إذا خلا من العيوب الجسدية، هو الذي يتولى هذا المنصب. وكانوا يعينوه في حفل كبير، ويقوم بتقدمة الذبيحة يومياً؛ وكان يلبس الملابس الفاخرة، ولاسيما في يوم الكفارة. وكان يضع في هذا اليوم صدرة مرصعة بالجواهر، وقد نقشت على الجواهر أسماء أسباط بني إسرائيل الأثنى عشر، وذلك يرمز إلى أن رئيس الكهنة يحمل مسئولية كل الشعب، وهذه الزينة هي تذكار للشعب أمام الله.

والكهنة أيضاً من أسرة هارون، وكانوا يقدمون بتقديم الذبائح اليومية تحت إشراف رئيس الكهنة، ويقومون بالأعمال التي تتطلبها خيمة الاجتماع، وكان عليهم إرشاد الشعب إلى سُنة الله. وكانوا منقسمين إلى أربع وعشرين فرقة، وكل فرقة منهم تخدم في الهيكل أسبوعاً (أخبار الأيام الأول الإصحاح ٢٤).

### اللاويون:

وهم من نسل لاوي لا من نسل هارون، وكانت رتبتهم الكهنوتية أقل من الكهنة، وكانوا يقومون بمساعدة الكهنة في الخدمة المقدسة، وكان هذا المنصب يتقلده نسل موسى وقد يضم إليهم أعضاء جدد لا ينتمون إليهم بصلة النسب. كان اللاويون يجوبون البلاد ليعلموا الشعب، وكانت لهم

عشور ثمار الأرض جزاء على خدمتهم للشعب (عدد ١٨: ٢١)، وكانت لهم ٤٨ مدينة بمسارحها لسكنهم ولبهائمهم (عدد ٣٥: ١– ٨).

## النثينيم:

أي الموهوبون، وهم الذين كان يخدمون الهيكل وخدمة الاجتماع، وكانوا يكلفون بالأعمال الشاقة مثل جمع الحطب وسقي الماء. وهؤلاء هم الكنعانيون الذين عفي عنهم ولم يقتلوا (يشوع ٩: ٢١– ٢٧ وعزرا ٨: ٢٠).

## المنذورون:

وهم الذين نذروا لعبادة الله الخاصة لمدة أسبوع، أو شهر، أو سنة، أو مدى الحياة. وكان شمشون ويوحنا المعمدان منذورين منذ ولادتهما. ومن المنذورين من نذر نفسه اختياراً (أعمال الرسل ١٨: ١٨ و٢١: ٢٣– ٢٦).

وللنذر قوانين صارمة على المنذر أن يتبعها (انظر عدد: الإصحاح السادس). وكان الركابيون من المنذورين (إرميا: الإصحاح ٣٥).

# الفرق اليهودية

قامت بين اليهود بعد رجعوهم من السبي البابلي فرق ثلاث كبيرة، وفرق أخرى صغيرة. وقد ظهرت هذه الفرق بعد ختام أسفار العهد القديم وتقنينها، أي في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد.

## الفرق الكبيرة

### الفريسيون:

وأصحاب هذه الفرقة أوسع انتشاراً بين اليهود عن غيرها من الفرق، وهي أكثرها عدداً وأقدمها نشأة. ومعنى التسمية بالعبرية يدل على الاعتزال والفرز والتجنيب، لأن لهم مكانة خاصة بين الشعب نظراً للقداسة التي تنسب إليهم. وكان معظم علماء السنة والكتبة منهم. وكانوا ينزلون أحاديث الشيوخ وتقاليد الأئمة منزلة تفوق كلام الله. وكانوا يفاخرون بمعرفتهم بأمور الدين، ويزعمون أنهم يستحقون رعاية الله، لما كانوا يقومون به من أعمال، بسبب ولائهم المتزمت لأحكام الشريعة ومحافظتهم على الطقوس، ويزعمون أن لهم الجنة. ولذلك كان المسيح يصفهم بالرياء، ويدلل على أنهم أبعد عن الجنة من العشار والزناة.

كان الفريسون يميلون إلى التفاخر والتظاهر وكانوا يباهون بإعطاء الصدقات في العلن، كما كانوا يتميزون بمظهرهم، فارتدوا أهداب ثياب أعرض مما كان يرتديه اليهودي العادي، وكانوا يهتمون اهتماما زائداً

بالناحية الظاهرية والطقسية في الدين حتى أمست رياء، ولا يمنع ذلك من أنه كان بين الفريسيين من يبحث مخلصا عن الحقائق الدينية. وكان بولس الرسول يعد نفسه فريسيا، يقول في رسالته إلى أهل فيلبي ٣: ٥ "من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي". وجاء في محاكمة بولس في سفر أعمال الرسل ٢٣: ٦– ٩ "ولما علم أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون، صرخ في المجمع: أيها الرجال الإخوة أنا فريسي ابن فريسي، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين، وانشقت الجماعة، لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك، فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطففوا يخاصمون قائلين: لسنا نجد شيئاً ردياً في هذا الإنسان، وإن كان روح أو ملاك قد كلمّه فلا نحار بن الله".

## الصدقيون:

فرقة تنكرا أكثر تعاليم كتب العهد القديم. ولا يُعرف على وجه التحقيق الزمن الذي ظهرت فيه، ولا إلى من تنتسب. ويزعم بعض علماء اليهود أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل اسمه صدوق أنشأها عام ٢٨٠ قبل الميلاد. وهؤلاء رفضوا التقليد الذي أخذ به الشيوخ، بحجة أن هذا التقليد غير موحي به. ومال الصدوقيون إلى فن الجمال، وأرادوا أن يخدموا الله– على حد قولهم– مسوقين إلى ذلك بدافع المحبة والشكر لله، لا ابتغاء مثوبة مرجوة، ولا اتقاء عقوبة متوقعة. واتخذ أصحاب هذه الفرقة بعض الآراء

الفلسفية القديمة مثل مذهب أبيقور الفيلسوف اليوناني، والتي تقول بأن أسمى أهداف الحياة هي اللذة، واللذة في رأيهم لا تقتصر على الشهوة الجسدية، بل تشمل أيضا لذة الحياة الاجتماعية والاجتهاد العقلي. ويقول الابيقوريون: إن الإنسان إذا وجه جهده نحو بلوغ اللذة والابتعاد عن الألم فقد جعل اللذة أسمى أهداف، واعتبر الألم شر الأمور. وقد جذبت تعاليم أبيقور الكثير من المثقفين ومن الشعب، واتخذها الشعب وسيلة للانغماس في حياة الفسق والفجور. وقد رفض الصدوقيون الأسفار المقدسة، ما عدا أسفار موسى الخمسة، وأنكروا قيامة الموتى، ونفوا وجود الملائكة وخلود الروح، واعتقدوا بوجود إله قادر على كل شيء، يعني بشعبة عناية فائقة، ولم يسلموا بالثواب والعقاب في الآخرة، وكانوا أقل عدداً من الفريسيين، ولكنهم كانوا أكثر منهم ثراء وأعظم جاها.

## الاسينيون:

فرقة من اليهود ظهرت حوالي سنة ٢٠٠ قبل الميلاد. وقد ذكر المسيح الفريسيين والصدوقيين، ولكنه لم يذكر الأسينيين، وربما يرجع ذلك إلى أن أماكن سكنهم كانت بعيدة عن أورشليم، ولم يأتوا إلى الهيكل ليقربوا الذبائح ويسجدوا لله. كانوا يؤمنون بالسعادة بعد الموت، ولكنهم كانوا يشكون في قيامة الجسد. وكانوا يمتنعون عن الزواج ويتبنون أولاد الفقراء ليعلموهم عقائدهم ويفقهوهم في مذهبهم. وإذا أراد أحد أن ينضم إلى جماعتهم وضعوه ثلاث سنين تحت التجربة، فإذا أمضى التجربة بنجاح، قبلوه في الجماعة بعد أن يتعهد بعبادة الله، وأن يعامل الناس بالعدل، ولا يخفي أسراره عن الجماعة ولا يبوح بها لغيرهم ولو عرض نفسه بذلك

للقتل. وكانوا يحتقرون المال ويميلون إلى التقشف ويلبسون ملابس بسيطة ويشتركون في مأكلهم ومالهم. وقد عرفوا بين اليهود بالعمل الشاق والإحسان إلى الفقراء والصدق في القول وإطاعة الحكام. وكان القسم الوحيد في حياتهم عند دخولهم في الجماعة، وكانت لا أو نعم يعنيان عندهم عن اليمين. ولم يظهر لهم تأثير على الآراء القومية واتجاهات الفكر في عصرهم. وقد اشتهرا اسم هذه الفرقة بعد الكشوف الحديثة منذ سنة ١٩٤٧ في منطقة البحر الميت، وهي نصوص قديمة لبعض كتب العهد القديم كانت بيد هذه الفرقة.

أما الفرق الصغيرة فقد عرفناها من العهد الجديد ومن كتابات يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودي، وأهمها ست فرق هي:

### السامريون:

أو السمرة، وهم في الأصل خليط من شعوب وثنية كان ملك أشور قد أسكنهم أرض السامرة بعد السبي الإسرائيلي، جاء في سفر الملوك الثاني ١٧: ٢٤ "وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة، عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها". وظلوا على وثنيتهم، ثم التمسوا من ملك أشور أن يرسل إليهم كاهنا من اليهود الذين في السبي لكي يعلمهم الدين، ولكنهم كانوا إلى جانب هذا يعبدون آلهتهم الوثنية (ملوك ثاني ١٧: ٢٦– ٤١).

ومن المرجح أن هؤلاء اختلطوا بالزواج ببقايا الأسباط العشرة. وبعد مضي فترة من الزمان أصبح للسامريين الحق بأن يدّعوا أنهم من سلالة

إسرائيلية غير كاملة.

وبعد سبي يهوذا. أخذ اليهود يعودون إلى مواطنهم، فعرض عليهم السامريون أن يعاونوهم في تجديد بناء الهيكل وأن يتحدوا معهم، فرفض اليهود هذا الاتحاد رفضا باتا، وأصبح السامريون أعداء لليهود (عزرا ٤: ١ – ٦). وبالرغم من ذلك تزاوج السامريون واليهود. ولما جاء نحميا النبي أمر بتنفيذ الشريعة الموسوية فيما يتعلق بالزواج المختلط، وهو منع زواج اليهودي بغير يهودية. وقد حدث أن أحد الكهنة اليهود كان متزوجا بابنة رئيس السامريين فطرد من اليهودية، وترأس حركة انفصالية وتوجه إلى شكيم، وأخذ يعلم أهل السامرة الطقس الموسوي، وأقام على جبل جرزيم هيكلا ينافس به هيكل أورشليم.

ثم أخذ السامريون يرجعون بنسبهم إلى الآباء الأولين، وزعموا أنهم هم أيضا من أهل الموعد، وقبلوا أسفار موسى الخمسة وسفري يشوع والقضاة، وأصبحت هذه الأسفار فقط هي كتابهم المقدس. وجدد السامريون عداوتهم القديمة بالأسباط العشرة وبأسرة داود، وأصبحت شكيم وأورشليم مركزي بث العداء، تدعى كل منهما لنفسها القداسة.

ولا يزيد اليوم عدد السمرة عن مائة وخمسين يقيمون بمدينة نابلس (شكيم)، وهم يحتفظون بنسخة قديمة من أسفار موسى الخمسة مكتوبة بخط مشتق من العبري القديم، ويقيمون ذبيحة الفصح السنوية على جبل جرزيم، ويحافظون على شريعة موسى مع بعض تعديلات طفيفة.

## الكتبة:

ويسمون أيضا بالناموسيين، جاء في إنجيل لوقا ١١: ٤٣- ٤٧ "ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون، فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا. فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيين لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل، وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم، ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم." ولم يكن الكتبة فرقة بالمعنى الصحيح، وكانت وظيفتهم في الأصل أن ينسخوا الكتب المقدسة، وكان أكثرهم يميل إلى التفقه في العلوم والفنون ويقومون بتفسير الشريعة، ويهذبون الشعب.

### الهيروديون:

هم طائفة سياسية أكثر منهم فرقة دينية، وهي لا تميل إلى الأمور الروحية. وهذه الطائفة اليهودية اتخذت كثيرا من العادات الوثنية وذلك لكي ترضي هيرودوس والرومان. وكانوا يناصرون الأسرة الهيرودية ويتزلفون إلى الرومان. وكان الفريسيون هم خصومهم، لأنهم يتمسكون بكل ما هو يهودي ويقاومون كل ما هو أجنبي. واتفق الهيروديون مع الفريسيين في عدائهم للمسيح يقول مرقس ٣: ٦ "فخرج الفريسيون مع الهيروديين وتشاوروا عليه لكي يهلكوه." وجاء في متى ٢٢: ١٥- ٢١ "حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديين قائلين: يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن، أيجوز أن

تعطي جزية لقيصر أم لا. فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربونني يا مراؤون. أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً: فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة، قالوا له لقيصر. فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

## الجليليون:

وفي فرقة دينية وسياسية عند اليهود. كان رائدهم الأول هو يهوذا الجليلي الذي ظهر في سنة ١١ بعد الميلاد، وخالف أمر أغسطس قيصر في إحصاء اليهود، فقد قال لأتباعه ليس لليهود ملك إلا الله. وجاء خبره في أعمال الرسل ٥: ٣٧ "بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب، وأزاغ وراءه شعباً غفيراً، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا".

## الليبرتينيون:

يظن أنهم كانوا طائفة قوامها أرقاء اليهود الذين أعتقهم سادتهم من الرومان، وكان لهم مجمع خاص بهم في أورشليم على ما يظهر. جاء ذكرهم في أعمال الرسل ٦: ٩ "فنهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيين والقيروانيين والاسكندريين ومن الذين من كيليكيا وآسيا يحاورون استفانوس".

## الغيورون:

وقد عدهم يوسيفوس المؤرخ اليهودي فرقة رابعة مكملة للفريسيين والصدوقيين والأسينيين. وكانوا حزباً سياسياً هدفه مقاومة سياسة هيرودوس والرومان. قاموا بثورة مسلحة في بدء حكم هيرودوس الكبير بقيادة العازر. وقضى على ثورتهم في شيء من العنف، ولكن جذوة الروح الوطنية لم تنطفئ في نفوسهم. ويظهر أن أحد رسل المسيح كان منهم، وهو سمعان الذي لقب في لوقا ٦: ١٥ وأعمال الرسل ١: ١٣ بالغيور، ولقب في متى ١٠: ٤ بالقانوي وهو اللفظ العبري المقابل للفظ غيور.

# الهيئات اليهودية

ألف اليهود، عقب السبي البابلي، هيئات أهمها: السنهدريم، والمجمع.

## السنهدريم:

ويسمى "رجال المجمع الكبير" وهو المجلس الأعلى أو الهيئة الحاكمة لليهود، وكان له سلطان كامل على الأمور الدينية وعلى المسائل المدنية.

ولم يتعرض الرومان لهذا الاختصاص، وإن كانوا قد حرموا على السنهدريم سلطة الحكم بعقوبة الموت. وكان هذا المجلس مؤلفاً من اثنين وسبعين عضواً، أكثرهم من الكهنة والشيوخ، وكان للمجلس قوة عسكرية من ضباط وجنود، لهم سلطة إلقاء القبض على المتهمين. وكان رئيس المجلس هو عادة رئيس الكهنة، وهو يجمع بين السلطة المدنية وبين السلطة الدينية. ولا نعرف على وجه التحقيق تاريخ تكوين هذه الهيئة، والمرجح أن هذه الهيئة نشأت بتكوين جديد تحت هذا الاسم في عصر المكابيين (من سنة ١٦٧ إلى سنة ٦٣ قبل الميلاد).

ويظهر أن هذا المجلس هو الذي حل في عصر المكابيين محل الهيئة التي كان قد أنشأها عزرا ونحميا، اللذان وضعا نظاماً لحكومة منظمة في فلسطين بعد السبي، عاصمتها أورشليم، لها رئيس يتولى السلطة الإدارية العليا في البلاد، ويساعده مجلس مكون من الشيوخ والكهنة. وكانت هذه الهيئة أوتوقراطية متعصبة، وهي التي حاكمت المسيح وحاكمت بولس الرسول.

**المجمع:**

تعذر على اليهود الذين كانوا في الشتات أن يقيموا العبادة في هيكل أورشليم، ودرجوا على الاجتماع في أماكن معينة للصلاة، حيث كانوا يقرأون الأسفار المقدسة. وأدت هذه الظروف إلى إقامة مجمع في كل مدينة. وكانت أمكنة الاجتماع تبنى على نمط بسيط، عبارة عن قاعة قبلتها أورشليم. وكانت القاعة تشتمل على تابوت بداخلها، وفيه نسخة من أسفار العهد القديم. وخلت عبادة المجمع من الطقوس والمراسم.

وكان القارئ يتلو الأسفار المقدسة على مسامع الشعب، ثم يترك المجال لأي حبر من الأحبار الحاضرين ليتولى شرح ما قرئ، ثم يعلق عليه.

# التقويم عند العبريين

كان للعبريين يومان مختلفان: أحدهما اليوم الطبيعي، وهو من شروق الشمس إلى غروبها، وهو النهار. وقد قسمه اليهود المتأخرون إلى اثنتي عشرة ساعة. يقول يوحنا ١١: ٩ "أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتي عشرة".

والثاني اليوم السياسي، وكان يحسب عندهم، من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، وهو اليوم.

وفي أيام المسيح كان يقسم الليل عندهم إلى أربعة أقسام متساوية، كل قسم منها يسمى محرساً أو هزيعاً. فالهزيع الأول: ثلاث ساعات تبدأ من الغروب، والثاني: يبدأ من نهاية الأول وينتهي نصف الليل، والثالث: يبدأ من نصف الليل، وكان يقال له صياح الديك، والرابع: يبدأ من نهاية الثالث وينتهي عند شروق الشمس، وكان يقال له هزيع الصباح أو محرس الصباح.

وكان لهم أيضاً سنتان مختلفتان: أحداهما مدنية أو سياسية، وهي الأصل عندهم. والثانية دينية.

فالسنة السياسية تبدأ من شهر ايثانيم الموافق أكتوبر أو تشرين الأول، والسنة الدينية تبدأ من شهر أبيب الموافق ابريل أو نيسان تذكاراً لوقت خروجهم من العبودية. يقول في خروج ١٣: ٤ "اليوم انتم خارجون في شهر أبيب"، ومن ثم صار يحسب هذا الشهر رأس سنتهم الدينية يقول في خروج ١٢: ٢ "هذا الشهر (أبيب) يكون لكم رأس الشهور. وهو لكم أول شهور السنة".

**وطريقة حساب الأشهر عند العبريين بحساب الهلال، أي: شهر ٢٩ يوماً وشهر ٣٠ يوماً وهكذا على التوالي. وكانوا كل ثلاث سنين يضيفون شهراً إلى آذار يسمونه آذار الثاني، وذلك لكي يساووا بين سنتهم وبين السنة الشمسية.**

| **شهور السنة السياسية** | **شهور السنة الدينية** |
|---|---|
| **إيثانيم** | **أبيب (نيسان– ابريل)** |
| **بول** | **زيو (آيار– مايو)** |
| **كسلو** | **سيوان (حزيران– يونيه)** |
| **طيبيت** | **تموز (تموز– يوليه)** |
| **شباط** | **آب (آب– أغسطس)** |
| **آذار** | **أيلول (أيلول– سبتمبر)** |
| **أبيب** | **إيثاينم (تشرين أول– أكتوبر)** |
| **زيو** | **بول (تشرين ثاني– نوفمبر)** |
| **سيوان** | **كسلو (كانون أول– ديسمبر)** |
| **تموز** | **طيبيت (كانون ثاني– يناير)** |
| **آب** | **شباط (شباط– فبراير)** |
| **أيلول** | **آذار (آذار– مارس)** |
| | **آذار الثاني** |
| | **(وهو يتلو آذار كل ثالث** |

# الدين والأعياد الدينية عند العبريين

إن احتفاظ الدين العبري بكيانه هذه العصور الطويلة، ظاهرة تستحق الوقوف عندها ودراستها.

تختلف آراء العلماء بصدد أقدم مرحلة للدين عند العبريين، كما اختلفت حول أقدم مرحلة في تاريخهم، ولعل المشكلة التي تواجهنا هي كيف نضع كل عنصر من العناصر المختلفة المكونة للدين العبري في مكانه الصحيح من عملية تطور ذلك الدين.

كان النظام الديني العبري كاملا في جوهره، ولاسيما من ناحية الطقوس، وذلك قبل إنشاء الملكية. وكان دخول العبريين فلسطين نقطة تحول في تاريخ تكون النظام الديني العبري، فقد تحولوا بعد دخولهم من حياة البداوة والرعي إلى الحياة الزراعية المستقرة وإن لم يكن هذا التحول نهائياً أو كاملا.

وبداية الدين القديم هو إيمان الشعب بإله واحد هو "يهوه" الذي أعلن شريعته أو قانونه أو توراته على لسان موسى. ولا يعرف معنى الاسم يهوه على وجه اليقين.

جاء في سفر الخروج ٣: ١١– ١٥: "فقال موسى لله (ألوهيم): من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر؟ فقال: إني أكون معك وهذه تكون لك العلامة إني أرسلتك، حينما تخرج الشعب من

مصر تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله: ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله أبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى. أهيه الذي أهيه (بالعبرية إهيه أشر إهيه). وقال. هكذا تقول لبني إسرائيل. أهيه أرسلني إليكم. وقال الله أيضاً لموسى. هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم: إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري إلى دور فدور".

فاسم الله هو "إهيه" في العبرية وقد فهمت على أن الاسم في صيغة المضارع المتكلم من الفعل الناقص "هيي" كان في وزن المجرد، ويكون المعنى كما رأى بعض العلماء للحال أي أكون الذي أكون. وذهب آخرون إلى أن المعنى في الاستقبال أي سأكون الذي سأكون، وهذا يرتبط بقول الله لموسى "إني أكون معك". أي سأكون معك كما وعدتك وأساعدك في إخراج بني إسرائيل من مصر، ويكون معناه "سأكون الذي وعدت أن أكون". أما المعنى الأول "أكون الذي أكون" فق انتقده بعض العلماء بأنه ميتافيزيقي على نحو لا يتفق وعقلية العبريين القدامى، وعلينا أن نفهم الأمر على أن الله ينسب إلى نفسه صفة البقاء على ما هو عليه في أفكاره وقراراته ووجوده.

والاسم المألوف لرب العبريين هو "يهوه". وقد اختلف العلماء في تفسيره، فهمه كاتب الآية على أنه صيغة المضارع الغائب في وزن المجرد من فعل الكينونة أي "يكون" كما أن معنى أهيه "أكون"، ويكون يهوه اسم الله حين يتحدث عنه غيره وأهيه اسم الله حين يتحدث هو عن نفسه. ويرى بعض العلماء أن يهوه في صيغة أفعل (هفعيل بالعبرية) ويكون معناه يوجد

مضارع أوجد أي يخلق، فيهوه هو الخالق. وقد رد على هذا الرأي بأن وزن هفعيل لا يرد من فعل هيي كما أن فكرة خلق يهوه للعالم ليست قديمة ولا ترجع إلى الدين العبري في صورته الأولى.

ويرى بعض العلماء أن الجذر الذي اشتق منه اسم يهوه يبدو أنه هوى بمعنى سقط، فيكون معنى يهوه "المسقط" أن الذي يسقط ببرقه الأعداء، والآثمين. ويرى بعض العلماء أن يهوه يتصل معناه بالفعل العربي هوى الذي منه الهواء، فيكون معناه "يسري في الأهوبة أو يهب" أي أنه إله العاصفة. وهناك أيضاً تفسيرات أخرى.

ورب العبريين محجوب عن عين الإنسان إلا في حالات معينة وفي مظاهر خاصة. ويجب ألا يصور بأية صورة، وليس له مسكن ثابت، ويمكن أن يكون في كل مكان، فإنه إله شعب بدوي. وليس له أسرة، وليس بذكر أو أنثى، وهو مقدس وعادل، وقد عقد عهداً خاصاً مع إسرائيل، وجعل من إسرائيل شعبه المختار.

وكان إله إسرائيل يظهر وسط السحب، ويبدي قوته في صورة البرق والعاصفة، ويقود شعبه في تجوالهم مستقراً فوق "ثابوت العهد" وهو صندوق مغشي بالذهب من الداخل والخارج مصنوع من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف ذراع، وكل من عرضه وارتفاعه ذراع ونصف ذراع (في خروج ٢٥: ١٠– ١٧ وصف مفصل لتابوت العهد)، ويعلو التابوت تمثالان لملاكين من طائفة الكروبيم (في خروج ٢٥: ١٨– ٢٢ وصف لتمثالي الكروبيم)، ويحمله بنو إسرائيل معهم، فإذا استقر بهم المقام وضعوه

في خيمة، ولم تستبدل هذه الخيمة إلا حين بني سليمان الهيكل، وأدخل تابوت العهد إلى قدس الأقداس في الهيكل.

والشعب البدوي لا يستطيع متابعة طقوس دائمة منتظمة، وإنما يحتفل بالأحداث الكبيرة في حياة الرعي. ولعل تقديم قرابين الحملان في الربيع أقدم هذه الاحتفالات، وتربطه الرواية اليهودية بخروج العبريين من مصر، وهو عيد الفصح.

**الفصح:**

**(من العبرية فسح أي التجاوز).**

ويتصل به أكل الخبز دون خمير ويسمى عيد الفطير أيضاً، وهو أول الأعياد السنوية اليهودية، وهو تذكار المحافظة على أرواح العبريين ليلة خلاصهم من العبودية، حين قتل الملاك بكر كل بيت من المصريين، وتجاوز عن بيوت العبريين، لأن أساكف أبوابهم كانت مضرجة بدم خروج الفصح الذي ذبح مساء. وكانت تلك الليلة آخر السنة الأربعمائة والثلاثين لسكني العبريين في مصر من زمن إبراهيم (تكوين ١٥: ١٣، ١٤ وخروج ١٢: ٤١، ٤٢) وهي ليلة اليوم الرابع عشر من شهر أبيب (خروج ١٢: ٢– ١٨، ٢٣: ١٥).

خرج العبريون من مصر– حسب التوراة– في الشهر الأول من السنة العبرية. وقد سمي شهر أبيب فيما بعد بالاسم البابلي نيسان، ويقابله ابريل من الشهور الإفرنجية.

ويحتفل اليهود بفصحهم في الرابع عشر من هذا الشهر بين

العشاءين، أي بين المغرب والعتمة أي الليل. وفي اليوم التالي أي الخامس عشر من أبيب يبدأ عيد الفطير، أي الخبز بدون خمير، وهو يمتد سبعة أيام. وفي هذه الصورة التي يعرضها لنا الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج نجد أن عيدي الفصح والفطير منفصلين، يأتي ثانيهما في أعقاب الأول.

وإذا تأملنا الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج وبخاصة الآيات التي تتناول فيها الفصح وعيد الفطير وجدناها ترجع إلى مصدرين مستقلين، المصدر اليهودي الألوهيمي وهو من حوالي سنة ٦٥٠ قدم والمصدر الكهنوتي وهو أحدث مصادر التوراة ويرجع إلى زمن عزرا أي إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. فالآيات التي تتناول الفصح وعيد الفطير في هذا الإصحاح ترجع إلى مصدر قديم لعله أقدم المصادر، ومصدر متأخر هو أحدث المصادر.

وإذا قارنا بين صورتي الفصح اللثين يعرضهما هذان المصدران، وجدنا أن الصورة القديمة (الآيات ٢١- ٢٧) تظهر ما يعقب الذبحة من تلطيخ الباب بدمها بواسطة حزمة من نبات الزرفا تغمس في الدم الذي في الطست، كما تنفرد بالنص على تحريم الخروج من البيت حتى الصباح. أما الصورة المتأخرة (الآيات ١- ٢٠ و٤٣- ٥٠) فهي تعني بتحديد عدة أمور.

(أ) التحديد الزمني. يؤخذ الحمل في العاشرة من الشهر الأول ويذبح في الرابع عشر بين العشاءين.

(ب) تحديد نوع الذبيحة: حمل سليم ابن ذكر بن سنة من الخراف أو المعز.

(ج) تحديد قواعد الأكل: لا يؤكل اللحم نيئاً أو مطبوخاً بالماء، ولكن يؤكل مشوياً بالنار، ويشوي الحمل بأكمله دون أن تزال رأسه أو أكارعه أو أحشاؤه. ولا يكسر العظم أثناء الأكل، ويؤكل اللحم مع فطير وأعشاب مرة، ولا يبق من اللحم شيء إلى الصباح، فإن بقى شيء فليحرق بالنار. ويتخذ الآكلون لباس المتأهب للسفر، وأكلهم على عجل، ويكون الأكل داخل البيت، فلا يؤخذ شيء من اللحم إلى الخارج.

(د) تحديد من يجوز لهم الفصح، ومن لا يجوز.

وفي هذه الصورة المتأخرة ذكر للتلطيخ بالدم (في الآيتين ٧ و١٣)، ولكن قواعد الأكل خاصة هي سمتها الطاهرة، بينما التلطيخ بالدم هو السمة الواضحة في الصورة القديمة.

وتشترك الصورتان في أمرين جوهريين:

١- الفصح احتفال عائلي، تقيمه كل أسرة داخل بيتها، ويشرف عليه رب الأسرة، ويستحيل على المسافر بعيداً عن أسرته أن يحتفل به وحده.

٢- الفصح وعيد الفطير منفصلان، ومدة عيد الفطير سبعة أيام تعقب ليلة الفصح.

وهناك مصدر ثالث من مصادر التوراة هو مصدر التثنية (تثنية الإصحاحات من ١٢ إلى ٢٦) ويرجع إلى سنة ٦٢٠ ق.م وهو الأساس الذي بنى عليه الملك يوشياهو، ملك يهوذا، إصلاحه الديني عام ٦٢٢

ق.م، وهذا المصدر يقع من الناحية الزمنية بين المصدر القديم والمصدر الكهنوتي، ومصدر التثنية (تثنية ١٦: ١- ٨) يعرض لنا صورة لعيدي الفصح والفطير تختلف في بعض النواحي الهامة عما عرفناه من المصدرين القديم والمتأخر.

والفرق بين مصدر التثنية والمصدرين القديم والمتأخر هو:

١- عيد الفصح في مصدر التثنية لا يتجزأ من عيد الفطير، وهما معا سبعة أيام أولهما الفصح، ولكن العيدين في المصدرين الآخرين مستقلان، وهما معا ثمانية أيام: يوم لعيد الفصح وسبعة أيام تليه لعيد الفطير.

٢- عيد الفصح في مصدر التثنية يحتفل به في هيكل أورشليم، لا في بيوت الأسر المختلفة، كما في المصدرين الآخرين. وتذهب الأسر كلها إلى الهيكل بقرابينها، فيتولى الكهنة هناك ذبحها مساء، وتأكل كل أسرة ذبيحتها، ثم تعود إلى بيتها في صباح اليوم التالي لتكمل الاحتفال بعيد الفطير.

٣- الذبيحة في مصدر التثنية من الغنم أو البقر، ولكنها في المصدر القديم من الغنم (خروج ١٢: ٢١) وفي المصدر المتأخر، حمل صحيح ذكر ابن سنة من الغنم أو المعز (خروج ١٢: ٥).

٤- نؤكل الذبيحة حسب مصدر التثنية مطبوخة أي مسلوقة بالماء، ولكن المصدر المتأخر يوجب أكلها مشوية (خروج ١٢: ٨، ٩) ويحرم أكلها نيئة أو مسلوقة (لا يؤكل اللحم نيئاً اجتنابا لما فيه من دم، فأكل الدم حرام، وعقاب آكل الدم هو القطع من شعب إسرائيل)،

وسبب تحريم الدم هو الاعتقاد بأن نفس كل جسد هي دمه، يقول في تكوين ٩: ٤ "غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه". أما المصدر القديم فهو لا يشير إلى طريقة الأكل.

والواقع أن مصدر التثنية أحدث بعض التغييرات الجوهرية في أحكام المصدر القديم، ويذكر سفر الملوك الثاني في ٢٣: ٢١– ٢٣ الفصح كما أمر به الملك يوشياهو، والمصدر المتأخر أعاد الوضع إلى ما كان عليه قبلاً.

كان الفصح وعيد الفطير منفصلين ويمتدان معاً ثمانية أيام فأدمج مصدر التثنية الفصح في عيد الفطير وجعلهما معا سبعة أيام، ولكن أعاده المصدر المتأخر إلى الوضع القديم. وكان الفصح احتفالا عائليا تحتفل به كل أسرة في بيتها تحت إشراف رب البيت، فنقله مصدر التثنية إلى هيكل أورشليم وجعله تحت إشراف الكهنة، ولكن المصدر المتأخر جعله احتفالاً عائليا من جديد.

وكانت ذبيحة الفصح من الغنم. فأضاف مصدر التثنية البقر. ولكن عاد المصدر المتأخر فقصرها على الغنم.

ومصدر التثنية يعين سلق اللحم، ويحدد المصدر المتأخر شيَّ اللحم. أما المصدر القديم فلا يعين أحدهما.

ونخلص من هذا كله إلى أن المصدر المتأخر صدى للمصدر القديم. أما مسألة التلطيخ بالدم التي تبرزها المصدر القديم واهتمام المصدر المتأخر بقواعد الأكل، فليس هذا خلافا يتعلق بحقائق الموضوع. وإنما هو خلاف في وجهة الاهتمام. ولهذا نعتبر المصدر المتأخر مكملا للمصدر القديم.

ونفيد من تفاصيله العديدة في تصور الفصح كما كان قديماً.

فعيد الفصح هو احتفال ليلي وتنفرد ذبيحة الفصح بين كافة القرابين، بأنها تذبح مساء، ويقع هذا الاحتفال بين غروب الشمس وشروقها؛ وليلة الاحتفال هي ليلة البدر للشهر التالي للاعتدال الربيعي (الوقت الذي يتساوى فيه الليل والنهار والذي يقع في ٢١ مارس) أي هو احتفال يقام في مستهل الربيع، وله علاقة بالقمر. والفصح احتفال عائلي يدور حول ذبيحة ذكر من الغنم أو المعز، سليمة من العيوب، مضى عليها حول، تؤخذ في العاشر من الشهر، وتحفظ في البيت حتى الرابع عشر، فيذبحها رب الأسرة بين العشاءين عند باب البيت، ويوضع الدم في طست، وتؤخذ حزمة من الزوفا وتغمس في الدم لتلطخ به عتبة الباب العليا وقائمتاه، ثم تشوى الذبيحة بتمامها، ويأكلها أفراد الأسرة ومن ينزل منزلتهم مثل العبد المشترى والغريب المقيم إذا ختنا، وذلك دون أن يكسر منها عظما. يأكلونها داخل البيت، فلا يدخل شيء من اللحم إلى الخارج بل لا يخرج أحد من البيت حتى الصباح، وأكلهم على عجل، لكي يأتوا على الذبيحة قبل أن يشرق الصباح أما الحكم بأن يلبس الآكلون لباس المتأهب للسفر فهو ليس حكما أصليا من أحكام الفصح، وإنما مرجعه ربط الفصح بقصة الخروج، وإن بقى شيء من الذبيحة يحرق بالنار. ويؤكل اللحم مع فطير وأعشاب مرة.

هذه الذبيحة التي لا تتجاوز العام تمثل باكورة قطيع الراعي من الغنم والمعز، يقدمها الراعي قربانا إلى القمر، وهو من آلهة الخصب، ليبارك قطيعه ويكفل تكاثره في العام التالي، واختيرت الذبيحة ذكراً لا أنثى، لأن

ذبح الأنثى، وهي التي تعطي نسلا، يتعارض وفكرة التكاثر المرجوة. ويقدم الراعي الذبيحة إلى إله القمر ليلة البدر حين يكون في أوج مجده، فوليمة الفصح كانت وليمة قربان مقدم إلى إله القمر، والمشتركون فيها من أهل البيت، هم ضيوف على الإله صاحب القربان، يشاركونه في طعامه، فالقرابين هي طعام الله (لاويون ٢١: ٧) ويجددون بذلك ما بينه وبينهم من عهد. وما داموا يأكلون في حضرة القمر، فلابد أن يفرغوا من الأكل قبل أن يحتجب، ولهذا يأكلون على عجل لكي يأتوا على الذبيحة قبل أن يأتي الصباح، فإن بقى منها شيء فليحرق بالنار، لأنه طعام مقدس لا يجوز أن يصيبه الفساد. ولا يجوز كسر عظم من عظام الذبيحة عند أكلها حتى لا يكون ذلك نذيراً بكسر أو ضرر يصيب القطيع خلال العام الجديد، وإنما يجب أن يبقى هيكل الذبيحة سليماً عند الأكل كما حفظ سليماً حين شوي بتمامه على النار. وعدم كسر العظام أو قطع الرأس يرمز إلى الواحدة التي تؤلف بين المشتركين في الوليمة. ويؤكل فطير مع اللحم، أي لا يؤكل خمير. لأن الاختمار ضرب من التعفن والفساد لا يجوز في هذه الوليمة المقدسة. هذا إلى أن خبز الرعاة هو في العادة بدون خمير لتنقلهم الدائم من مرعى إلى مرعى (تكوين ١٨: ٦). وتؤكل مع اللحم أيضاً أعشاب مرة لطرد الأرواح الشريرة من البيت، هذا إلى أن الأعشاب المرة من نبات الصحراء. وطرد الأرواح الشريرة هو الغرض أيضاً من تلطيخ عتبة الباب العليا وقائمتيه بدم الذبيحة بعد ذبحها عند الباب. واستعمال حزمة الزوفا في عملية التلطيخ له أيضا جلالته. فإن العبريين كانوا يستعملون هذا النبات في طقوس التطهير (لاويون ١٤: ٤، مزامير ٥١: ٦).

هذا تصورنا للفصح كما كان يحتفل به العبريون قديما، حينما كانوا بدوا رعاة يعبدون القمر، ويستنزلون بركته على قطعانهم، ويبعدون الأرواح الشريرة عن البيت بالدم والأعشاب المرة. وقد بقيت ملامح هذه الصورة بعد تحول العبريين إلى عبادة يهوه، ولكنهم صاروا ينظرون إلى ذبيحة الفصح على أنها قربان ليهوه دون غيره.

وكان يحتفل بالفصح في مستهل الربيع، لأنه موسم النتاج للماشية، فلما انتقل العبريون إلى كنعان، وجدوا هناك عيداً آخر من أعياد الربيع كان يحتفل به في بداية الحصاد، فأخذوه عن الكنعانيين وصار عندهم أساساً لعيد الفطير. وهكذا ارتبط عيد الفصح القديم الذي أتى به العبريون من الصحراء بعيد الفطير الذي لم يعرفون إلا في كنعان، وإن ظلا عيدين منفصلين (سفر الخروج الإصحاح ١٢).

وتربط التوراة هذين العيدين بقصة الخروج من مصر، وتفسر بعض أحكامهما بأحداث معينة في هذه القصة، فوضع الدم على الباب يراد به أن يكون علامة يراها ملاك الرب فيترك مساكن العبريين دون أن يصيبها بأذى، واتخاذ لباس المتأهب للسفر أثناء أكل الذبيحة سببه العجلة التي صاحبت الخروج، وأكل الفطير سببه أن العبريين حملوا عجينهم قبل أن يختمر، لأنه لم يمكنهم التأخر.

وهكذا تربط التوراة عيد الفصح بقصة الخروج مع أنه أقد منها، وتربط عيد الفطر بها أيضاً مع أنهم لم يعرفوه إلا بعد ذلك في كنعان. ومنشأ هذه الرابطة هو أن سبب الخروج كان الرغبة في الاحتفال بالفصح في

الصحراء (خروج ٥: ١– ٣) ففسرت بعض أحاكم الفصح ببعض أحداث الخروج.

والتوراة لا تصرح بأن سبب الخروج كان الرغبة في الاحتفال بالفصح خاصة، ولكنها تنص على أن العبريين كانوا يريدون الخروج بعيداً في الصحراء، بأسرهم وقطعانهم كلها، ليحتفلوا هناك بعيد للرب يقدمون فيه الذبائح له، فلعل هذا العيد هو الفصح وقد أراد العبريون أن يحتفلوا به في الصحراء، لأنه عيد بدوي في الأصل، وأرادوا أن يخرجوا بأسرهم وقطعانهم كلها للاحتفال به، فتقيم كل أسرة احتفالها العائلي الخاص ليبارك الرب قطيعها. ولما أبى فرعون أن يطلقهم رغم ما ابتلى به الرب أرض مصر، عبر الرب أرض مصر في الرابع عشر من الشهر الأول ليلا وأهلك كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم، ولكنه تجاوز بيوت بني إسرائيل، حين رأى عليها علامة الدم ومعنى هذا أنه حين حل الرابع عشر من شهر أبيب موعد الذبح، دون أن يستطيع العبريون الاحتفال به، عاقب الرب قوم فرعون في تلك الليلة نفسها. فوقوع العقاب في تلك الليلة دليل على أن العيد الذي كان العبريون يريدون الاحتفال به هو عيد الفصح، لأن ميعاد الفصح هو تلك الليلة من كل عام.

ونوع العقاب الذي أنزله الرب في تلك الليلة، وهو إهلاك كل بكر من الناس والبهائم، يشير إلى أن العبريين كانوا يريدون بواكير قطعانهم ذبائح للرب، فلما حيل بينهم وبين ذلك، أهلك الرب كل بكر من بهائم المصريين، وكل بكر من أبنائهم أيضا، فنوع العقاب يشير إلى أن ذبيحة الفصح باكورة.

### الخمسين:

ويسمى عيد الأسابيع (بالعبرية: شابوعوت)، ويسمى أيضاً عيد الحصاد.

يقع في اليوم الخمسين بعد ثاني الفصح أي بعد الفصح بسبعة أسابيع، وهو السادس من شهر سيوان، وسمي بالحصاد، لأنه يقع عند نهاية حصاد القمح، وكانت باكورته تقدم للرب على صورة رغيفين من أنقى الدقيق مع ذبائح وشكر. وكانت الذبيحة في العيد سبعة حملان حولية وعجلا وكبشين محرقة وخروفين حوليين ذبيحة سلامة وماعزا ذبيحة خطية (لاويون ٢٣: ١٥- ٢٢)، وكانوا يتركون لقاط الحصيد للمساكين والغرباء.

### المظال:

وهو بالعبرية سكوت.

وهو عيد للعنب، ويحتفل به تذكاراً لرحمة الله في حماية العبريين في البرية، ولذلك يسكنون في هذا العيد سبعة أيام في خيام من أغصان الشجر تذكاراً لسكنى آبائهم الأولين في البرية من ١٥ إيثانيم إلى ٢٢ منه، وإيثانيم هو الشهر الأول من شهور السنة السياسية. وفي غرة هذا الشهر يعيدون عيد الأبواق، وهو عيد الانتصار والفرح. وفي اليوم العاشر منه يوم الكفارة (لاويون ٢٣: ٢٧، ٣٤- ٤٣، تثنية ١٦: ١٣- ١٥).

وكان على كل ذكر زاد سنه عن اثنتي عشرة سنة أن يحضر أمام الرب في هيكله في الأعياد الثلاث: الفصح والخمسين والمظال (تثنية ١٦: ١٦).

## رؤوس الشهور:

أو الأهلة.

كان يحتفل بها، ولها ذبائح معينة. ويحتفل بها الكهنة بالنفخ في أبواق من الفضة (عدد ١٠: ١، ٢٨، ١١– ١٥).

## يوم الكفارة:

(بالعبرية كبور).

هو اليوم العاشر من شهر إيثانيم، ويمتاز هذا اليوم بالذبيحة السنوية. وكان على الكاهن أن يقرب ثوراً كفارة لخطايا أهل بيته، ثم يقرب ماعزين كفارة لخطايا الشعب.

وكانت الطريقة المتبعة أن الكاهن بعد أن يعترف بخطايا الشعب فوق رأسي الماعزين، يذبح أحدهما ويقربه وقوداً كما في الذبيحة اليومية؛ وأما الآخر فيؤخذ بعد أن يحمل خطايا الشعب إلى البرية حيث يترك هناك (لاويون: إصحاح ١٦).

وكانوا يصومون في هذا اليوم، وكانت صلاة الاعتراف بالخطايا في تقديم ذبيحة خاصة هي "يا رب أني أخطأت وأثمت وعصيت، ولكني راجع بالتوبة إليك، وآمل أن يكون ذلك كفارة لي".

أما في يوم الكفارة فتكون صلاة الاعتراف بالخطايا هي: "يا رب إن شعبك بني إسرائيل قد فعلوا السوء وأخطأوا أمامك، فأسألك الآن أن تعفو عن الخطايا والآثام والذنوب التي ارتكبها وأساء وأثم بها أمامك

الشعب بيت إسرائيل. كما هو مكتوب في ناموس عبدك موسى: أنه في ذلك اليوم يقيم لكم كفارة لينقيكم، ولتطهروا من جميع آثامكم أمام الرب".

### سنة العطلة:

وهي كل سنة سابعة عندهم، وتسمى سنة الإطلاق أيضاً، وكما كان الشعب في السبت يمتنع عن العمل ويخصصونه لله، هكذا كانت سنة العطلة عندهم لتذكرهم أنهم هم وأرضهم للرب. وفي هذه السنة كانت الأرض لا تحرث، والكرم لا يقضب، وكانت تسمى هذه السنة بسبت الأرض (لاويون ٢٥: ٦)، وكان يعفى فيها عن المديونين ويتنازل الدائن عن دينه (تثنية ١٥: ٢– ٩) أما الأجنبي فيطالب بدينه، وتسمى هذه السنة بسنة الإبراء أي إبراء للرب. وكان على العبري الذي استرق عبريا وخدمه ست سنين ففي السنة السابعة يطلقه حراً (تثنية ١٥: ١٢)، وقد وعدهم الله أن يفيض خيراه في السنة السادسة، فتثمر الأرض غلة ثلاث سنين (لاويون ٢٥: ٢٠– ٢٢)، وكانوا في هذه السنة يعلمون الشعب التعاليم الدينية (تثنية ٣١: ١٠– ١٣).

### اليوبيل:

أي الهتاف، ومعناها في الأصل الكبش، لأن إعلان بدئها كان بالنفخ في بوق مصنوع من قرن الكبش، وهو عام للراحة يقع كل خمسين سنة، وكانوا يتنازلون فيه عن ديونهم وعن الرهائن ويطلقون سراح العبيد والأسرى. وكانوا يبشرون مساء يوم الكفارة بخبر اليوبيل، وكانوا يسترضون الله ويستغفرونه بالذبائح ثم يشهرون الحرية. وكان الهدف من هذا اليوبيل

رفع الظلم المستمر على المساكين والعبيد، وكانوا يتنازلون عن الأملاك العقارية أو الأراضي التي يكونون قد اشتروها من عبريين، فيحدث نوع من التوازن في الثروة بين اليهود، ويحتفظ كل سبط بأملاكه.

### يوم السبت:

(ومعناه بالعبرية: الكف عن العمل أو الراحة).

وهو عندهم أهم الأعياد الدينية، وهو اليوم السابع من الأسبوع، وكان يحتفل به على أنه يوم راحة. وفي هذا اليوم كان على اليهود أن يعيدوا فيه لله ويحتفلون به. وهو يعتبر تذكاراً لعتقهم من عبودية المصريين. وكانت تتضاعف فيه الذبيحة اليومية، فيقربون كل مرة خروفين (خروج ٢٩: ٣٨- ٤٢ ولاويون ٦: ٩ وعدد ٢٨: ٣- ١٠).

هذا ويلاحظ أن الذبائح عند العبريين كانت لأهداف مختلفة. وقد عين الله للذبائح خمسة أنواع هي: البقر والغنم والمعزى والحمام واليمام.

وكانت الذبيحة التي تقدم يومياً، هي خروف بلا عيب، ويقدم وقوداً لله للتكفير عن خطايا الشعب، وكان ذلك طول السنة: كل يوم صباحاً ومساء.

وكان الكاهن قبل ذبح الخروف يعترف بخطايا الشعب فوق الخروف، وينقل الخطايا إلى الخروف، وذلك عن طريق وضع وكلاء الشعب أيديهم على رأس الخروف، ثم يقوم الكاهن بذبحه، ويقدمه وقوداً عنهم. وفي أثناء ذلك تسجد الجماعة في المكان، ويبخر الكهنة على المذبح الذهبي، وهم يقدمون الطلبات لله عن الشعب.

بعد أن استقرت القبائل العبرية في فلسطين، أخذت الكثير من الحضارة الكنعانية. ويستنكر سفر القضاء الابتعاد عن شريعة موسى (قضاة ٢: ١– ١٣).

وأدى اتصال العبريين بالشعوب الأخرى، إلى تدعيم إخلاصهم ليهوه إلها قومياً لهم، والأحداث التي أوردها سفر القضاة تدل على الصراع بين يهوه وآلهة الكنعانيين.

وفي عهد شاءول وداود شهدت الملكية تدعيماً لدين يهوه، ونقل تابوت العهد إلى أورشليم فتركز الدين القومي في العاصمة القومية. وفي عصر داود اتفقت مثل الكهنة مع مثل الملك، وبفضل هذا الانسجام نعمت إسرائيل زمناً بالازدهار الديني. وفي عصر سليمان حدث صراع بين الولاء السياسي والولاء الديني؛ لأن سليمان– على الرغم من تقديمه أرفع آيات الإجلال ليهوه ببنائه الهيكل– قبل صوراً أجنبية من العبادة، فأدى هذا إلى وضع حد للانسجام بين الكهنة وبينه، وكان سبباً في الأزمة الدينية.

وشهد عصر المملكتين نتيجة هذا الصراع بقيام قوة دينية جديدة هي قوة الأنبياء. وكانت حركة الأنبياء تهدف، إلى وقف عملية الاندماج في الدين الكنعاني، التي كانت تسير بالتدريج، وإلى حث المؤمنين بالعودة إلى التقاليد القديمة، حتى يستمر دين يهوه وتثبت دعائمه، حتى يصبح دين يهوه هو القوة الوحيدة التي تمنع انحلال الشعب العبري، فلولا دين يهوه لزال هذا الشعب إلى الأبد.

ويسمى النبي في العبرية "نابي"، قد اختلفت الآراء حول معنى هذه

الكلمة، فمن العلماء من أراد أن يجد صلة بينها وبين الكلمة المصرية القديمة "نب" بمعنى سيد، ومنهم من فسرها بمعنى "مدعو" أي من يدعوه الله. فالله يختار النبي ويوحي إليه ليحمل رسالته إلى الناس، والنبي يضع نفسه في خدمة الله، ومن هنا كان يسمى أيضاً "رجل الله".

وهكذا كانت النبوة فضلا يسبغه الله، فكانت– كما تقول التوراة– تأتي إلى النبي من تلقاء نفسها، على غير توقع أو رغبة، فهي ظاهرة جبرية. وكان الأنبياء في كثير من الأحيان يتحدون في جماعات، ويكونون فريقا من رجال الهيكل.

وكان من يتلقى دعوة النبوة يذهب إلى السوق أو الهيكل أو القصر، وينادي بما دعى إليه، سواء أكان سامعه من عامة الناس أم كاهنا أم ملكا. وكانت دعوته تدور حول محورين أساسيين: من جهة يدعو في إصرار إلى الوحدانية الخالصة، ويرفض كل نوع من أنواع التساهل أو التراخي مع العبادات الأجنبية أو الوثنية، وكان من جهة أخرى يدعو إلى صلاح الأخلاق، ويندد بالتهاون الخلقي الذي لم يكن في حقيقة أمره سوى نتيجة للتهاون الديني. ولم يغفل في دعوته أيضاً التنبؤ بالعقاب الذي سيقع إذا لم يسمع قوله.

وتطورت أفكار الأنبياء الدينية، فرؤيا إيليا على جبل حوريب، كما يصفها سفر الملوك الأول (١٩: ١١– ١٣) "فقال (الرب)، أخرج وقف على الجبل أمام الرب، وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب، ولم يكن الرب في الريح. وبعد الريح

زلزلة ولم يكن الرب في الزلزلة. وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب في النار. وبعد النار صوت منخفض خفيف. فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه، وخرج ووقف عند باب المغارة، وإذا بصوت إليه يقول: لماذا أنت هنا يا إيليا؟" رؤيا تظهر في وضوح ازدياد الناحية الروحية في فكرة الله. فهو لا يزال مشخصاً، ولكن أخذ تصوره بصورة إنسان يقل شيئاً فشيئاً، وأخذت مظاهرة تنتقل بالتدريج إلى التخيل.

وهناك أفكار دينية صورت قديما في جلاء- إلى حد ما- صارت الآن أكثر تحديداً وتعريفاً، وذلك مثل فكرة الخلق، وما كان الإنسان فيه من نعيم أول الأمر، وعواقب خطيئة آدم، وقد تحددت إلى ما ينتظره المرء بعد القبر. وفكرة المسيح المخلص، التي كانت تظهرها الأزمات السياسية من حين، خرجت إلى الصدارة في وضوح حين زال ملك إسرائيل ويهوذا، ويعبر عنها إشعياء في ١١: ١- ١٠ "وسيخرج قضيب من جذع يسي (أبي داود)، وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخالفة الرب. وتكون سعادته في مخافة الرب، فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقوية، فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل والماشية المسمنة معا، وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان، وتربض أولادهما معا، والأسد كالبقر يأكل تبناً، ويلعب الرضيع على جحر الصل، ويمد الفطيم يده إلى كن الأفعوان، لا

يسوؤون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأن الأرض امتلأت بمعرفة الله، كما تغطي المياه البحر، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسي القائم راية للشعوب، تسعى إليه الأمم، ويكون محله مجداً".

وكان أمل المسيح المنتظر شوقاً إلى عودة ملك داود، الذي كان يعد عصراً ذهبياً تزول به مصائب الحاضر، وقد استمر هذا الأمل طوال تلك المرحلة من التفكير الديني عند العبريين، وصار نقطة البداية للوحي المسيحي.

والتطلع إلى المسيح المنتظر، ليس في جوهره سوى التوكل العبري الدائم على عهد الله. فالعهد الذي عقده الله مع إبراهيم يتكرر ويتجدد طوال العصور، وهو في مرحلته الأخيرة هذه يعد الإسرائيليين– جزاء صبرهم ووفائهم وقت المحنة التي جرتها عليهم عودتهم إلى الإثم– بقدم عصر سعيد، يزول فيه كل خوف ويسود العالم الأمن والمحبة.

وفي زمن السبي طهرت المثل الدينية لإسرائيل وسمت من عدة أوجه. فزوال الشعب من الناحية السياسية، أتاح للفكر العبري أن يدرك بوضوح أن يهوه هو الإله الواحد الأحد للعالم والبشر جميعاً. ثم إن شقاء السبي، وانقطاع طقوس الهيكل جعلا الإسرائيليين يعودون إلى الله، ويشغلون بالمعنى الباطن للدين. وفسرت مصائب الشعب على أساس ديني، بأنها تجربة للتطهير تهيئ الشعب للنهوض من جديد عن جدارة.

وإلى جانب هذا البعث في الشعور الديني، حدث تطور في الدين المقنن، والموضوع في صيغ ثابتة. ويعتبر حزقيال الكاهن النبي هو ممثل الربط بين مثالية النبوة وتقنين الكهنوت. ومن النتائج الطبيعية لأحوال السي، أن وجه

الكهنة اهتمامهم إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة، فأدى بهم هذا إلى أن يتولوا نشر الأسفار المقدسة، فجمعت هذه المصادر التقليدية لتاريخ العبريين ودينهم ورتبت في أجزاء ثلاثة، التوراة والأنبياء والكتابات؛ حتى تنقل نقلا أميناً إلى الأجيال التالية.

ولما عاد الإسرائيليون من السبي بعد انتصار كورش، وبنوا الهيكل من جديد، بدا أن هناك ما يبشر بأن تتحقق آمال أهل السبي، وتخرج خططهم إلى حيز الوجود، ولكن لم يقدر لهم أن يعيشوا في سلام. فقد تتابعت الاضطرابات والأزمات، وانتهى في الواقع تاريخ الشعب اليهودي باعتباره وحدة مستقلة، فإن نهضة المكابيين لم تكن سوى مرحلة عابرة.

ويمكن التمييز بين اتجاهين دينيين بارزين بين اليهود، وهم على عتبة مصيرهم الجديد: اتجاه له طابع نبوي، واتجاه آخر له طابع كهنوتي. فالاتجاه الأول أقرب إلى النفس وأشمل للبشر، والاتجاه الثاني أكثر اهتماماً بالظاهر والتعلق بالقومية. وقد قدر لليهودية أن تتطور بالتفاعل بين هاتين القوتين. فالروح الوطنية قدر لها المحافظة في حرص على الأشكال القديمة طوال العصور، ونظرة النبوة قدر لها أن تتطور إلى حركة شاملة للعالم ورثتها المسيحية.

وحرم الدين التصوير أو تمثيل الله، وقضى هذا التحريم على إمكان التطور الفني، إلى حد اضطر معه سليمان عند بناء الهيكل إلى الاستعانة بالفنانين الأجانب. ولم يتمكن التصوير أو النحت من التطور، لأنهما يستمدان وحيهما من الموضوعات الدينية قبل كل شيء.

# كتاب العهد القديم

كان الجهد الأساسي للعبريين منذ أقدم العصور موجها إلى حفظ الأسفار التي تضم تاريخهم القومي ودينهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة. وقد وصلت إلينا نتيجة جهدهم الدائب في صورة كتاب، أو بتعبير أصح، مجموعة كتب هي أعظم عمل أدبي للعبريين في العصور القديمة، ونعني به– كتاب العهد القديم.

ولم تحفظ على هذا النحو جميع آثار الأدب العبري القديم، فأسفار العهد القديم نفسها تشير إلى المصادر التي استمدت منها مادتها. وهذا إلى أن المخطوطات العبرية التي كشفت أخيراً بالقرب من البحر الميت تضم، عدا بعض نصوص العهد القديم، كتابات أخرى ليست فيه:

والسبب الرئيسي الذي دعا العبريين إلى أن يحفظوا في كتاب العهد القديم الأسفار التي يضمها دون غيرها، هو أن الهدف من تصنيفه كان دينياً لا أدبياً فاختبرت الكتب التي تصلح للتعليم الديني، أي التي تشتمل على تعاليم دينية وتاريخ ديني، وأدرج في التاريخ الديني تاريخ الشعب اليهودي من حيث هو تاريخ للعهد بين الله وإسرائيل.

هذه النظرة إلى التاريخ، أدت إلى أن تعرض تعاليم التوراة في صورة يمكن أن نصفها بأنها صورة قصصية، لا على نحو منهجي. فالتعاليم القانونية والخلقية والتعليمات العملية ودعوات الأنبياء، عادة حسب

ورودها في وصفها التاريخي.

يبدأ العهد القديم بأسفار موسى الخمسة. وأول هذه الأسفار، وهو سفر التكوين، يحدثنا عن أصل العالم والبشر، ويتتبع تاريخ الإنسان حتى تكون نواة الشعب العبري بإبراهيم وأسرته، ويحكي هجرات أجداد العبريين إلى فلسطين وأخيراً إلى مصر.

والسفر الثاني، وهو سفر الخروج، يسوده شخص موسى، ويحكي قصة الخروج من مصر وإعلان الشريعة من جبل سيناء والسفران التاليان، سفر اللاويين وسفر العدد؛ يحتويان على مزيد من أحكام الشريعة، وأغلبها ما يتصل بالطقوس، ويواصلان حكاية التجوال في الصحراء حتى الوصول إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن.

وآخر الأسفار الخمسة، وهو سفر التثنية، يورد أحكاماً أخرى للشريعة على أنها آخر ما فرضه موسى قبل موته، وأرض الميعاد على مرأى عينيه.

هذه هي الصورة التي وصلت بها الأسفار الخمسة إلينا. وهذه الأسفار هي القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين العبري بأسرهما، ولكنها تنطوي على أخطر المشاكل النقدية: وإن تفسير أقدم تاريخ سياسي ودين للعبريين يعتمد كله على تاريخ تأليفها، وتحديد مصادرها وتاريخها، والقمة التي تعلقها عليها، فلا عجب إذا كانت موضوع جدل معقد:

وتنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة تأليف الأسفار الخمسة في صورتها الحالية إلى موسى، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث

ترتيب التأليف والترتيب الزمني لمادتها أيضاً. وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم ألفت بالترتيب الذي نراها عليه الآن.

ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب في التأليف أدت، قرب نهاية القرن الثامن عشر. إلى فحص نقدي شامل للموضوع. وأوفى بيان لنتائج الأبحاث التي تلت ذلك هو الذي صدر عن العالم الألمان "ولها وزن". وقد عكس الترتيب التقليدي لتأليف أسفار العهد القديم. ونسب إلى زمن يلي موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصة. أو بالأحرى الأسفار الستة الأولى (وفيهم سفر يشوع). لأن سفر يشوع يدرج في هذه المجموعة نفسها على أنه جزء منها.

الاختلافات في الأسماء التي يشار فيها إلى الله، وتكرار بعض القصص والفروق البينة في اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة، كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، كانت في الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة. وقد حددت أربعة مصادر أساسية: المصدر اليهوي وقد ألف حوالي سنة ٨٥٠ ق.م في مملكة يهوذا. وسمي كذلك لأنه يستعمل اسم العلم يهوه. والمصدر الإلوهيمي لأنه يستعمل اسم إلوهيم. وقد ألف حوالي سنة ٧٧٠ ق.م في المملكة الشمالية. وقد أدمج هذان المصدران في مجموعة واحدة حوالي سنة ٦٥٠ ق.م، ومصدر التثنية وقد ألف وأعلن العثور عليه زمن الملك يوشيا هو، ملك يهوذا سنة ٦٢٠ ق.م. وكان أساساً لإصلاحه الديني. والمصدر الكهنوتي. وهو يرجع إلى زمن عزرا. وقد أدمج في المصادر السابقة حوالي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت النتيجة أخيراً الأسفار الخمسة

المنسوبة إلى موسى. وأثرت هذه النظرية في الروابط بين جميع أجزاء العهد القديم. فأسفار الأنبياء والأسفار التاريخية لابد أنها خرجت إلى الوجود بهذا الترتيب قبل التصنيف الأخير للأسفار الخمسة. ولكن لم تقبل على أنها أسفار مقدسة إلا في تاريخ متأخر. فترتيب التأليف كان على هذا النحو: أسفار الأنبياء فالأسفار التاريخية فالأسفار الخمسة. ولكن جمع العهد القديم بدأ بالأسفار الخمسة، وبعدها أضيفت الأسفار الأخرى، لا بترتيب التأليف، ولكن بترتيب منهجي حسب مادتها.

هذه هي نظرية "ولها وزن" التي سادت الميدان العلمي سنين عدة دون معارضة تذكر، ولكن بتقدم العلم، وبفضل الأدلة الأثرية الجديدة خاصة. أعيد النظر فيها مرة بعد أخرى. فمقارنة مادة العهد القديم بمصادر ما بين النهرين، ولاسيما القانونية منها، والمصادر الأوجرتية وغيرها. تبين أن الأسفار الخمسة، أو على الأقل جزءاً كبيراً من المصادر التي جمعت منها، أقدم مما ظن "ولها وزن".

ومن هنا نجد أن الدراسات الحديثة للعهد القديم عدلت نظام "ولها وزن" من عدة وجوه، وإن لم تستبدل به نظاما يقارن به، فنجد أولا أنه بفضل أبحاث المدرسة السويدية خاصة "إنجنل" اتجه النظر إلى أن وسائل النقد الأدبي لا تكفي دون سند آخر، وإلى أنه من الضروري أن ندخل في اعتبارنا آثار الرواية الشفوية التي قد تتناقل القصص في كثير من الأحيان زمنا طويلا قبل تدوينها، وأن ننظر إلى الكتاب الذي نشأ عن ذلك. على أنه مكون من طبقات مختلفة، ومجموع من مصادر متباينة.

ونجد أن عناصر النظام قد عدلت، فقسم المصدر اليهوي قسمين، وسمي المصدر الجديد منهما: علماني لخلوه من الأفكار الكهنوتية، كما اقترح أساس مشترك للمصدرين اليهوي والإلوهيمي، واقترحت تقسيمات أخرى للمصادر، وقُدم تاريخياً مصدر التثنية والمصدر الكهنوتي.

ويوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد تكون جمعت من مصادر مختلفة، وربما اشتملت على تغييرات وإضافات متأخرة، ولكنهم يصرون على أنها صادرة أساساً عن موسى.

والمشاكل المتعلقة بتأليف بقية أسفار العهد القديم هي عامة أقل خطورة من المشاكل المتعلقة بالأسفار الخمسة، وهي خاصة أقل أثراً منها في تفسير التاريخ والدين عند العبريين.

فالأسفار التاريخية تواصل تاريخ "الشعب المختار" من حيث انتهت الأسفار الخمسة، وتسير به عل نحو يتفاوت كمالا واتصالا حتى القرن الثاني قبل الميلاد.

فقصة فتح كنعان على يد يشوع تحكي في السفر الذي يحمل اسمه. ويحدثنا سفر القضاة عن الفترة التي توطد فيها الفتح، مع تراوح في اليمن والتوفيق، في ظل زعامات عارضة لأبطال محليين يسمون القضاة. ويشتمل هذا السفر على بعض نصوص موغلة في القدم، كأغنية النصر التي أنشدتها دبوره (قضاة: الإصحاح الخامس).

وتمدنا أسفار صموئيل والملوك بسلسلة من القصص المفصلة عن فترة المملكة الموحدة، ولاسيما عهد داود، وتعطينا صورة عامة عن تاريخ

المملكتين المنفصلتين، تشتمل على معلومات أقل، إلا في الفترات التي اهتم بها المصنف اهتماماً خاصاً، وكان يكتب من وجهة نظر دينية. ومن المحتمل أن هذا القسم من تصنيف بعض رجال طبقة الكهنة، وأنهم صنفوا أيضاً سفري أخبار الأيام اللذين يوردان صورة مكملة موازية عن تاريخ مملكة يهوذا.

وينتهي التاريخ المتصل الذي يعرضه العهد القديم بسقوط المملكتين. أما العصور اللاحقة فلدينا عنها معلومات متناثرة في سفري عزرا ونحميا اللذين يصفان الأحداث البارزة الخاصة بالعودة من السبي، وفي سفري المكابيين الأول والثاني اللذين يتناولان اليقظة الأخيرة للاستقلال اليهودي. وهذه يقصد بها ثورة في يهوذا بزعامة الكاهن متاتياس وأبنائه من بعده على الإمبراطورية السلوقية، وذلك من سنة ١٦٦ ق.م إلى سقوط أورشليم في يد الرومان سنة ٦٣ ق.م. وتسمى هذه الثورة بثورة المكابيين، نسبة إلى يهوذا مكابيوس، وهو ابن متاتياس ومضرم الثورة بعده. ويسمى المكابيون أيضاً في المصادر اليهودية المتأخرة بالحشمونيين، نسبة إلى حشمون جد متاتياس. وسفرا المكابيين الأول والثاني يتناولان بعض تاريخ المكابيين. وأولهما يتناول الفترة من سنة ١٧٥ إلى سنة ١٣٥ قبل الميلاد، والثاني يتناول الفترة من سنة ١٧٥ إلى سنة ١٦١ ق.م.

وفي المكابيين الثاني (١: ١ إلى ٢: ١٨) رسالتان كتبهما يهود فلسطين إلى يهود مصر.

وفي نطاق تاريخ العهد القديم يحكى لنا سفرا راعوث واستير قصصاً

شخصية، تمدنا بصورة طريفة للحياة اليومية في العصور المختلفة.

وفي أسفار الأنبياء معلومات أخرى عن التاريخ العبري وتفسير شخصي له. فأسفار الأنبياء المتقدمين تعرض علينا التاريخ المتأخر لمملكتي يهوذا وإسرائيل، وتتنبأ بسقوطهما على أنه نتيجة لآثامهما، لا مفر منها. وقد رأينا في يهوذا شخصيتين من الأنبياء هما: إشعيا وإرميا. وكان إشعيا يعارض دائماً سياسة الاعتماد على العون الأجنبي؛ بينما كان إرميا يدعو إلى الاستسلام لبابل التي اختارها الله أداة لعقاب شعبه الضال. وفي خلال السبي كان حزقيال يعلم صحبه ويعزيهم معلناً أن الشعب سيولد من جديد. وهو يعبر عن هذا في جملة آيات تدور حول رؤيا، وهي تنطوي على مقدرة أدبية كبيرة (حزقيال ٣٧: ١– ١٤).

ورؤى دانيال المتشابكة المعقدة، هي نقطة الانتقال إلى أسفار الأنبياء المتأخرين، وهي سلسلة الأسفار الموجزة التي تتخذ من الأحداث المختلفة ذريعة لنصح الشعب الضال، والتنبؤ بالعقاب، والتبشير بعودة الأمور إلى الصلاح في المستقبل.

وبقية العهد القديم أغان وأدب حكمة. وهذه الكتابات شعرية الطابع عادة، وقالبها الشعري هو القالب الشرقي المألوف، الذي يقوم على التوازي بين الأجزاء المتتابعة.

وسفر المزامير أعظم الأسفار الشعرية في العهد القديم، بل هو من أعظم ما نظمه الإنسان من شعر. وهو يشتمل على ١٥٠ أغنية تختلف تاريخا، بعضها شخصي الطابع وبعضها جماعي، فيها تسبيح بالله ودعاء له

أن يعين المرء في الملمات المختلفة التي تنزل به وكثير من المزامير لها طابع الطقوس، قصد بها الترتيل في الصلوات.

وهناك سفر رائع آخر من الشعر العبري، هو مراثي إرميا، وهي مثال لنمط أدبي ليس بغريب على الشرق الأدنى القديم.

وثمة سفر شعري يبدو دنيوي الطابع، ولكنه فسر تفسيراً دينياً وضم إلى العهد القديم، وهو نشيد الإنشاد الذي يدور حول حب راع شاب وراعية.

وهناك سلسلة من الحكم والتأملات على نسق نظائر لها في آداب الأمم المجاورة، وذلك مثل ما نجده في سفر الأمثال وسفر أيوب.

وينتهي أدب الحكمة بسفر الجامعة الذي يتحدث عن بطلان كل شيء، وعن عبث الدنيا التي تدور بلا نهاية، ويظهر في السفر التأثير اليوناني، وهو أقرب إلى طرق التفكير اليوناني منه إلى طرق التفكير العبري.

# الكتب التاريخية في العهد القديم

الكتب التاريخية في العهد القديم هي: يشوع، والقضاة، ورعوات، وصموئيل الأول وصموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثاني، ونحميا، وإستير.

وتسمى هذه الأسفار تاريخية لأن أكثر ما ورد فيها يتحدث عن تاريخ العبريين من أول فتحهم لأرض فلسطين إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. وهذه الأسفار تسجل تاريخ الأفراد والشعوب، وهي تعني قبل كل شيء بموقف الله تجاهها. وعلاقة الله بالأفراد والشعوب من حيث قربهم منه أو بعدهم عنه. وكان اختيار الحوادث المختلفة في هذه الأسفار لتقرير تلك الحقيقة. وسجلت حوادث الملوك ومصيرهم تبعاً لموقفهم الروحي والأخلاقي.

وتحكي الأسفار أعمال الله، وكيفية رفعه للمتضعين وعقابه للظالمين. وهي تكشف عن قداسته، وصبره، وغفرانه للتائب، وسعيه وراء الضال. وتذكر كيف أدى الأنبياء رسالتهم، والظروف القاسية التي مروا بها في حياتهم.

وتصل أسفار يشوع والقضاة وراعوث وسفرا صموئيل بالحوادث من الفتح إلى أول عهد الملكية. ويحكي لنا سفرا الملوك الأول وأخبار الأيام الأول التاريخ إلى عصر السبي، أما سفرا عزرا ونحميا فيتحدثان عن العودة

من السبي. وتقع حوادث سفر أستير في فترة الحكم الفارسي.

ونلاحظ أن هذه الأسفار ليست الأسفار الوحيدة في العهد القديم التي تتضمن الأخبار التاريخية، ففي أسفار موسى الخمسة جزء كبير يشتمل على أحداث تاريخية، كما نجد مادة تاريخية في أسفار الأنبياء.

لا تشمل هذه الأسفار تاريخاً كاملا للحوادث والأفراد التي تتناولها. وتشير الأسفار أحياناً إلى كتب أخرى تتضمن معلومات أوفى. فكثيرا ما نجد عبارات مثل "وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته، أما هي مكتوبة في سفر أمور سليمان" ملوك أول ١١: ٤١، "وأما بقية أمور يربعام: كيف حارب، وكيف ملك فإنها مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" ملوك أول ١٤: ١٩. "وبقية أمور رحبعام وكل ما فعل، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا" ملوك أول ١٤: ٢٩، "وبقية أمور زمرى وفتنته التي فتنها، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" ملوك أول ١٦: ٢٠، "وبقية أمور شلوم وفتنته التي فتنها، هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" ملوك ثاني ١٥: ١٥، "وأمور داود الملك الأولى والأخيرة، هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي، مع كل ملكه وجبروته، والأوقات التي عبرت عليه وعلى إسرائيل وعلى كل الممالك" أخبار الأيام الأول ٢٩: ٢٩، "وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة، أما هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي، وفي نبوة أخيا الشيلوني، وفي رؤى يعدو الرائي على يربعام بن نباط" أخبار الأيام الثاني ٩: ٢٩، "وأمور آسا الأولى والأخيرة، ها هي مكتوبة في سفر الملوك ليهوذا وإسرائيل" أخبار الأيام الثاني ١٦: ١١.

كتبت هذه الأسفار لغرض ديني، ولهذا فإن التاريخ الذي تتضمنه. اختبر ليوضح الغرض الذي ترمي إليه، فأفاض في أخبار بعض الأنبياء مثل إيليا واليشع، واختصر في أخبار كثير من الملوك على الرغم من شهرتهم لدى معاصريهم.

فهذه الأسفار التاريخية لم تكتب في الأصل لتكون سجلا تاريخياً، وإنما تتبين المادة التاريخية من ثنايا الهدف الديني الذي وضعت من أجله.

# سفر يشوع

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون، الذي خلف موسى قائداً للعبريين، وكان اسمه أولا هوشع. جاء في عدد ١٣: ١٦ "ودعا موسى هوشع بن نون، يشوع".

والسفر يقص تاريخ بني إسرائيل من موت موسى إلى ما بعد موت يشوع.

## مضمون السفر:

يشمل السفر على موضوعين وخاتمة:

ففي الإصحاحات من ١ إلى ١٢ يتحدث عن غزو أرض كنعان: الاستعداد للغزو وعبور الأردن (الإصحاحات ١– ٥)، وسقوط أريحا وعاي وخطية عخان (٦– ٨)، وأعمال الغزو والمهادنة مع جبعون (٩– ١٢).

وفي الإصحاحات من ١٣ إلى ٢٢ يتحدث السفر عن توزيع الأسباط العشائر في الأرض.

والخاتمة الإصحاحان ٢٣ و٢٤ وفيهما تضرعات يشوع، والاجتماع مع الأسباط في شكيم، ثم موت يشوع.

ويهدف السفر إلى إثبات أن الله أوفى بوعوده، وأنه طرد الشعوب أمام شعب إسرائيل وحارب عنهم، وهذا واضح من الإصحاح الأول

الآيات ١- ٩ "وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا: موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس تخمكم، لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك، كما كنت مع موسى أكون معك. لا أهملك ولا أتركك. تشدد وتشجع، لأنه أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التي حلفت لآبائهم أن أعطيهم، إنما كن متشدداً وتشجع جداً، لكي تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه، لأنك حينئذ تُصلح طريقك وحينئذ تُفلح. أما أمرتك: تشدد وتشجع، لا ترهب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب".

وجاء في الإصحاح ٢١ الآيات ٤٣- ٤٥ "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم، فامتلكوها وسكنوا فيها. فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم. بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم، لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل. بل الكل صار" وبهذا نرى أن الوعد قد تحقق. ووعد الله لا يتحقق إلا مرة واحدة.

وسفر يشوع عبارة عن تعليمات للإجراءات السياسية والأحداث الحربية.

أما الفترة التي تتضمن الحوادث في هذا السفر، فهي في الأغلب ٣٢

سنة، منها سبع سنوات استغرق فيها فتح البلاد و٢٥ سنة المدة التي تولى فيها يشوع القيادة بعد موت موسى. ولكن المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس يذهب إلى أن المدة كلها هي ٢٥ سنة فقط.

والسفر يبين أهمية طاعة الشعب للشريعة الإلهية بما تتطلبه من مبادئ أخلاقية. وهو مليء بالتعاليم الروحية والأسس التي يجب أن تتوفر للظفر ببركة الله.

وهناك بعض المسائل التي تحير القارئ منها: وقوف الشمس فوق جبعون، ومنها أمر الله بإهلاك الكنعانيين، والله الرؤوف الرحيم، الأب المحب، لا يرتضي أن يهلك شعوباً بأكملها. جاء في يشوع ٦: ٢١ "وحرموا كل ما في المدينة (أريحا) من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" وفي ٨: ١- ٢ "انظر، قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه. فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها. غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم".

### كاتب السفر:

لا يذكر السفر شيئاً عن كاتبه، أما ما جاء في ٢٤: ٢٦ "وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله" فربما يعني أنها إضافات ألحقت بالتوراة.

وذهب علماء اليهود وبعض الكتاب المسيحيين بأن كاتب السفر هو يشوع ماعدا الآيات الخمس الأخيرة منه وبعض آيات مثل ١٩: ٤٧.

ولكن الملاحظ أن عدداً من الآيات والعبارات في سفر يشوع تشير إلى أحداث تمت بعد موت يشوع مثال ذلك ١٥: ١٣- ١٩ و١٩: ٤٧

وما يقابلها في قضاة ١: ١١- ١٥ و١٨: ٢٧ وكذلك نجد بعض الآيات قد أضيفت إلى النص منها ١٤: ١٥، ٢٤: ٢٩.

ويدل ذلك على أن السفر في حالته الراهنة لم يكتبه يشوع، بل كان يشوع هو بطل السفر.

ويذهب "كلفن" أن مؤلف السفر أو كاتبه الذي جمعه من مصادر مختلفة، ضمها في كتاب واحد، هو اليعازر بن هرون. جاء في يشوع ٢٤: ٣٣ "ومات إليعازر بن هرون فدفنوه في...".

واعتمد كاتب السفر على سفر ياشر وربما اعتمد أيضاً على كتب أخرى لم يذكرها، وذلك كما يفعل كتاب التاريخ عادة، يقول في ١٠: ١٣ "أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر".

## تاريخ تدوين السفر:

يذكر السفر مدينة صيدا على أنها عاصمة الفينيقيين ١١: ٨ ويدل ذلك على أن عصر كتابة السفر كان قبل داود.

ويذكر كاتب السفر أن اليبوسيين يسكنون في أورشليم ١٥: ٦٣ ونحن نعرف من سفر صموئيل الثاني ٥: ٦ أن داود طردهم فيما بعد من أورشليم.

ونستدل من ١٦: ١٠ أن الكنعانيين كانوا يسكنون في جازر في وقت كتابة السفر، ونعلم من سفر الملوك الأول ٩: ١٦ أن سليمان أجلاهم عن جازر.

وواضح من هذا أن السفر كتب قبل داود، وأن الكاتب اعتمد على نصوص من عصر يشوع. يدلنا على ذلك أن حوادث فتح أرض كنعان ذكرت بكثير من التفصيل، لا يتأتى إلا لشاهد عيان (في الإصحاحين السابع والثامن ١٥: ٩ و٤٩ و٥٤).

كما أن أسماء المدن الكنعانية القديمة كانت معروفة عند الكاتب (١٨: ٢٦، ٢٠: ٧).

وذكر السفر أن راحاب تسكن في وسط إسرائيل ٦: ٢٥ وكذلك كانت الأحجار التي حملوها من الأردن لتكون تذكارا لعبور الأردن قائمة في عصر كاتب السفر ٤: ٩.

وكذلك استعمل الكاتب صيغة جمع المتكلم مثل تعبره في ٥: ١ "حتى عبرنا" و٥: ٦ "أن يعطينا" مما يدل على قدم العصر الذي كتب فيه المصدر الذي أخذ عنه السفر.

# سفر القضاة

اسم هذا السفر مترجم من اللفظة العبرية "شوفطيم" وقد استخدمت لقباً للذين قاموا بعد موت يشوع لينقذوا شعب إسرائيل من أعدائهم المحيطين بهم. ومعنى هذه اللفظة بالعبرية لا تنصب على السلطة القضائية كما نفهم من مدلول هذا اللفظ في العربية وإنما تؤدي هذه اللفظة عندهم معنى الحكم والسلطة الإدارية والمنقذ، وهذا النوع من الحكم هو حكم عسكري مطلق. وقد سموا أيضاً مخلصين لأن إقامة أحدهم كان لتخليص الشعب من أيدي الأعداء، وكان ذلك في أحوال غير اعتيادية، وتنقضي سلطتهم عادة بانتهاء الحالة التي دعت إلى قيامهم.

يقول في قضاة ٣: ٩٠١ فأقام الرب مخلصا لبني إسرائيل فخلصهم. عشيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر، فكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل، وخرج للحرب" وفي قضاة ٣: ١٥ "وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم الرب مخلصا إهود بن جيرا البنياميني.

ولم يكن اختيارهم بالوراثة أو بالانتخاب، ولكن لقدرتهم العسكرية. وكانت سلطتهم تمتد إلى عدد من القبائل، ولهذا نجد أن بعض القضاة كانوا متعاصرين. وكانت تمضي فترات لا يقوم فيها قضاة.

ولم يذكر سفر القضاة إلا ست قضاة كبار وست صغار.

**مضمون السفر:**

يمكن تقسيم موضوعات السفر على النحو الآتي:

**القسم الأول:**

مقدمة مزدوجة، يذكر فيها الحالة السياسية والدينية لإسرائيل قبل عصر القضاة مباشرة (١: ١– ٢: ٩). ثم موضوع الكتاب حيث يبين الأسباب العميقة التي تسببت في مصير إسرائيل (٢: ١٠– ٣: ٧).

**القسم الثاني:**

نص السفر من ٣: ٨– ١٦: ٣١ وهو يصور ما ذكره في الجزء الثاني من المقدمة (٢: ١٠– ٣: ٧) وقد حكى فيه قصص ستة أبطال هم القضاة الكبار. وفيها إشارات إلى ستة قضاة صغار وهم شمجر بن عناة (٣: ٣١)، وتولع بن فواة بن دودو (١٠: ١)، يائير الجلعادي (١٠: ٣)، إبصان من بيت لحم وإيلون الزبولوني وعبدون بن هليل الفرعتوني (١٢: ٨– ١٥).

**والقضاة الكبار هم:**

١– عثنيئيل بن قناز هزم ملك سوريا (٣: ٧– ١١).

٢– إهود بن جيرا هزم المؤابين (٣: ١٢– ٣٠).

٣– باراق بن أبينوعم وقد شجعته دبوره القاضية النبية فانتصر على سيسرا الكنعاني بالقرب من نهر (قيشون، وفيه خبر قتل ياعيل امرأة حابر القيني سيسرا الهارب، وفيه قصيدة دبوره (الإصحاحان الرابع والخامس).

٤- جدعون بن يوآش الأبيعزري هزم المديانيين والعمالقة (الإصحاحات السادس والسابع والثامن). وفي الإصحاح التاسع خبر ما ارتكبه أبيمالك من ظلم في شكيم. وفي الإصحاح العاشر ١- ٥ ذكر تولع بن فواه بن دودو، ويائير الجلعادي.

٥- يفتاح الجلعادي الذي حارب بني عمون (١١: ١- ١٢: ٧) وانتصر عليهم. وفيه تنفيذ النذر الذي نذره يفتاح وهو حرق ابنته (١١: ٣٤- ٤٠).

٦- شمشون بن منوح من الدانيين الذي هزم الفلسطينيين في اثنتي عشرة حملة (الإصحاحات من ١٣ إلى ١٦).

الخاتمة: من الإصحاح ١٧ إلى الإصحاح ٢١ ويتضمن نبأ حادثتين غريبتين: الأولى، حادثة ميخا والدانيين (الإصحاحان ١٧ و١٨)، والثانية الفضيحة التي اقترفت في جبعة، والحرب التي نجمت عنها، وكادت تؤدي إلى انقراض سبط بنيامين (الإصحاحات من ١٩- ٢١). وهذا القسم هو ملحق يدوّن حوادث سابقة للحوادث التي وردت في السفر، ويوضح حالة الانحطاط الأخلاقي التي وصلت إليه إسرائيل.

## كاتب السفر:

لا يعرف على وجه التأكيد من هو مؤلف هذا السفر، لكنه لا شك أن كاتبه جمع مادته من نصوص كانت موجودة وقت كتابته، ومن قصص كان متداولا وشائعا بين الشعب. وينسب التقليد اليهودي والمسيحي كتابة هذا السفر إلى صموئيل، والمرجح أن صموئيل كان قد شرع في كتابته ثم

أكمله بعده غيره من المؤرخين.

ويذهب بعض العلماء أن مادة هذا السفر كانت متفرقة، وخصائص اللغة في السفر تدل على أن مادته كتبها عدة مؤلفين، وقد نسقها وضمها في كتاب واحد عزرا أو نحميا.

## تاريخ تدوين السفر:

سفر القضاة في حالته التي وصلت إلينا، ألف في أول عصر الملوك (قارن قضاة ١: ٢١، و١٧: ٦ و١٨: ٣١ و٢١: ٢٥) وذلك بالاعتماد على التاريخ والتقليد الشفوي.

وفي الأصل كانت الإصحاحات السبع الأول من سفر صموئيل الأول في سفر القضاة، ثم رؤى في عصر متأخر أن تضم هذه الإصحاحات إلى سفر صموئيل للصلة الوثيقة بين سفر صموئيل ونشأة الملكية.

ويرجح الباحثون أن آخر كاتب جمع هذا السفر كان بين سنتي ٦٠٠ و٤٠٠ قبل الميلاد.

## قيمة السفر التاريخية:

تشير بعض الأسفار المتأخرة في العهد القديم إلى سفر القضاة (قارن صموئيل الثاني ١١: ٢١ يشير إلى قضاة ٩: ٥٣، ومزامير ١٠٦: ٣٤-٣٦ يشير إلى قضاة ٢: ١١- ١٣، وإشعيا ٩: ٣ يشير إلى قضاة ٧: ٢٢، وهوشع ٩: ٩ يشير إلى قضاة إصحاح ١٩ وغير ذلك) وهو يدل على أن سفر القضاة كان يعتبر من الأسفار المقدسة.

ونلاحظ أن الكاتب يذكر فتح بعض المدن مرتين، وذلك لأن المدينة تكون قد استردت حريتها بعد الفتح الأول.

وكاتب السفر يأتي بالحوادث المخالفة للأخلاق بطريقة موضوعية مثلا (قضاة ٣: ١٦– ٢٣).

ونجد في السفر فترات متفاوتة تبين بوضوح ما ظهر بعد العصر الموسوي من ميل الشعب إلى السلوك مسالك الضلالة والإثم والانحطاط الخلقي، وعبادة آلهة أجنبية، فهي فترات تاريخية شحنت بالفساد والفوضى واختلال النظام والتحزبات القبلية. وهم في كل فترة يستدعون زعيما أي قاضياً، يحاول استعادة الشريعة، وقهر الأعداء، والرجوع إلى حياة صالحة. وقصة هذا السفر إنما هي دورات متلاحقة من السقوط والنهوض والإثم ثم التوبة.

# سفر راعوث

يحمل السفر هذا الاسم من اسم امرأة موأبية تسمى راعوث (من العبرية رع هـ أي رعى).

وتتلخص القصة في أنه حدثت مجاعة في بيت لحم، فرحل رجل اسمه أليمالك ومعه زوجته نُعمى وابناهما محلون وكليون، إلى أرض موآب.

وتزوج الولدان من موآبيات ومات الولدان ومات الزوج، وتقرر نعمى العودة العودة إلى أهلها في بيت لحم. وحملت المرأة قرارها إلى غرفة وراعوث كنيتها، فقبلتها عرفة وبقيت في بلدها، أما راعوث فقد رافقتها إلى بيت لحم.

كان وصول نعمى وراعوث إلى بيت لحم في موسم حصاد الشعير، وتذكرت نمي أحد أقاربها الأثرياء وهو بوعز، وزوجتها له، فولدت له ابنا اسمه عوبيد، الذي صار ابا ليسي أبي داود النبي، ومن نسل داود، وفي بلد داود بيت لحم، ولد المسيح.

وفي هذا السفر أربعة إصحاحات، وهي تتضمن هذه القصة في أسلوب بسيط مؤثر.

ويروي سفر راعوث قصة بسيطة قد تحدث في أية أسرة، ويظهر عاطفة زوجة الابن نحو حماها ومحبتها لها، منكرة لذاتها ومخلصة في خدمتها، ومشاركة لها في ضيقها. وتبين القصة أن الله اختارها بسبب تقواها فأصبحت زوجة لرجل ثري، وارتفعت من الفقر والترمل والخمول، إلى زوجة مكرمة، ووالدة سعدت بأولادها.

**هدف السفر:**

يهدف السفر إلى عرض أنساب بيت داود؛ دون أن يكون له اتجاه سياسي، وذلك تثبيتاً لحق أسرة داود في أرض افرايم بعد عام ٧٢٢ ق.م.

**تاريخ السفر:**

يدل أسلوب الكتابة على أن السفر كتب في عصر متأخر. ويحدثنا كاتب السفر في مقدمته أن الحوادث التي يقصها حدثت في عصر القضاة، كما يذكر في خاتمته اسم داود وسلسلة نسبه (٤: ٢٢) ويدل هذا على أن عصر القضاة كان قد انتهى حين دون هذا السفر (١: ١ و٤: ٧).

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا السفر كتب في زمن اشتدت فيه رغبة اليهود في التخلي عن زوجاتهم الأجنبيات.

وكاتب السفر غير معروف، ولكن التلمود ينسب كتابته إلى صموئيل.

وأغلب الظن أنه كتب في زمن عزرا ونحميا أي في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد.

ولما كان موضوع السفر يتصل بعصر القضاة، فقد عدوه أحياناً من سفر القضاة. واعتبر في الترجمة السبعينية ضمن الكتب التاريخية. ولم يكن سفر راعوث معترفا به بين الأسفار القانونية حتى القرن الثالث قبل الميلاد. وعده اليهود من كتب القراءات الطقسية التي تسمى "مجلوت" وهي نشيد الإنشاد وراعوث والمراثي والجامعة وإستير، وكانت تقرأ في الأعياد الخمسة الكبرى عندهم، وكان سفر راعوث يقرأ في عيد الخمسين.

# سفرا صموئيل الأول والثاني

كان سفرا صموئيل في الأصل العبري يضمهما سفر واحد. وقد تم تقسيم السفر إلى سفرين في الترجمة السبعينية. وكان سبب هذا التقسيم أنهم اعتبروا الجزء الأول منه منتهياً بموت شاول، وبدوأ الثاني من جلوس داود على عرش المملكة.

وسمي هذا السفر أصلا باسم صموئيل، لأنه يستهل بتاريخ ولادة صموئيل وأعماله، وذلك على الطريقة المتبعة عند العبريين وهي تسمية السفر من أول كلمة أو عبارة أو موضوع في مستهله، إلا أن الترجمة السبعينية سمتهما سفري الملوك الأول والثاني، وذلك من مضمون الكتابين وهذه الطريقة هي التي كانت سائدة في مصر، أي أن يعطي للكتاب عنوان يؤدي مضمونه، فالمصريون أول من أعطى للكتاب عنوان. وقد عمر القديس هيرونيموس تسميتها باسم الملوك الأول والثاني.

## موضوع السفرين:

يشتمل السفران على عصر من تاريخ إسرائيل، يبدأ من حيث انتهى سفر القضاة، وهو مولد صموئيل وينتهي بآخر ملك داود أي من سنة ١٠٧٥ إلى سنة ٩٥٧ قبل الميلاد.

ويتضمن السفران تاريخ تحول الحكم إلى حكم ملكي وتنصيب الملكين الأولين على مملكة إسرائيل وهما: شاول وداود بتعيين من الله. كما

بينا كيف أبى شاول أن يطيع أوامر الله، فيعزله الله ويقيم مكانه داود بن يسي، وكيف أن الله امتحنه حتى أظهر طاعته وبهذا تقرر الحكم لداود ونسله وفي هذين السفرين يبدو بوضوح الصلة بين تطور إسرائيل وبين طاعتها لله.

ولا يشتمل السفران على تاريخ كامل لابتداء عصر الملكية في إسرائيل، ولكنهما بظهران وحدة في المنهج التاريخي لهذا التطور. ويمكن تتبع الحوادث التي يشمل عليها السفران في مدى قرن من الزمان تقريباً.

ويتعلق السفر الأول بالقاضيين الأخيرين من قضاة بني إسرائيل وهما: عالي وصموئيل، وبالملكين الأولين من ملوكهم وهما: شاول وداود.

ويمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: خبر عالي الذي كان قاضياً، ونبأ ابنيه الفاسدين، ومولد صموئيل وتربيته ودعوته (الإصحاحات ١ إلى ٤).

الثاني: تاريخ صموئيل ودعوة الله إياه ليكون نبياً وقاضياً (الإصحاحات من ٥ إلى ١٢).

الثالث: تاريخ شاول الذي عينه الله أن يكون أول ملوك (إسرائيل الإصحاحات من ١٣ إلى ٣١).

ويتضمن سفر صموئيل الثاني تاريخ ملك داود الذي أقيم ملكا على يهوذا بعد موت شاول، وعلى كل الأسباط بعد قتل ايشبوشت ابن شاول.

ويمكن تقسيم هذا السفر إلى ثلاثة أجزاء.

الأول: يتضمن ذكر انتصار داود وتفوقه على بيت شاول (الإصحاحات من ١ إلى ١٠).

الثاني: فيه نبأ الاضطرابات التي حدثت لداود على خطيئته أمام الله، ثورة أبشالوم وهرب داود، موت أبشالوم وعودة داود (الإصحاحات من ١١ إلى ١٩).

الثالث: يتضمن تثبيت داود على كرسي الملك بعد توبته الصادقة، وأناشيد النصر، وإحصاء الشعب والطاعون، وأخبار السنين الأخيرة من ملك داود.

(الإصحاحات من ٢٠ إلى ٢٤).

ونشهد تحت زعامة صموئيل نشأة النظام النبوي، وارتقائه، وتزعم صموئيل جماعة الأنبياء، والتمهيد للحكم الملكي.

## القيمة التاريخية:

لا شك أن سفري صموئيل هما ملخص لكتاب من التاريخ مطول يعتمد على نصوص مختلفة الأصل لم يذكر مؤلفها.

ويعبر الكاتب عن عصر داود وسليمان على أنه عصر مضى، يقول في صموئيل الأول ٢٧: ٦ "فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلع، لذلك صارت صقلع لملوك يهوذا إلى هذا اليوم" أي أنه عند كتابة السفر كانت هناك فترة طويلة قد مرت عند تقسيم المملكة.

ويظهر أن تأليف السفر، يقع تقريباً بين سنتي ٨٥٠ و٧٥٠ قبل

الميلاد، واستخدم المؤلف النصوص الآتية:

١- تاريخ صموئيل وشاول للإصحاحات ١- ١٤ في صموئيل الأول).

٢- تاريخ داود للإصحاحات من صموئيل الأول ١٥ إلى صموئيل الثاني ٥ والتي بدأ صموئيل في كتابتها، ثم أتمها النبيان ناثان وجاد (أخبار الأيام الأول ٢٧: ٢٤، ٢٩: ٢٩) يقول "وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي".

٣- سفر ياشر الذي جاء ذكره في صموئيل الثاني ١: ١٨ والذي استخدمه يشوع ١٠: ١٣.

### مؤلف السفر:

أما كاتب هذين السفرين فهو غير معروف على وجه التحقيق، والتقليد اليهودي في التلمود ينسب تأليفهما إلى صموئيل، ويذهب بعض العلماء أن صموئيل كتب الأربعة والعشرين إصحاحاً الأولى وأن ناثان وجاد النبيين أكملاها معتمدين في ذلك على ما جاء في أخبار الأيام الثاني ٢٩: ٢٩، ٣٠. ومن المرجح أن المراجع النهائي للسفرين كان من أحد تلاميذ هؤلاء الأنبياء.

ويؤكد العلماء أن مدوني الحوادث كانوا يعيشون وقت وقوعها، لما فيها من تصوير حي للشخصيات وللعرض النفسي المستمد من الواقع للشخصيات المختلفة.

# سفر الملوك الأول والثاني

قسمت الترجمة السبعينية سفر الملوك إلى سفرين، وسميا بالثالث والرابع، لأن سفري صموئيل أطلق عليهما في الترجمة السبعينية الملوك الأول والثاني.

ويتضح من مستهل السفر أن المؤلف أراد أن يتتبع التاريخ الذي انتهى عنده صموئيل، ومقارنة صموئيل وملوك تبين أن الملوك سفر مستقل بذاته.

ويعالج سفر الملوك تاريخ المدة التي بين سني ملك داود الأخيرة (نحو سنة ٨٩٠ ق.م) وسقوط أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م، وينتهيان بإطلاق يهوياكين من السجن، عن يد أويل مردوخ ملك بابل في سنة ٥٦١ ق.م.

فتكون الفترة التي يتناولها هذان السفران أكثر من أربعة قرون، ولابد أن كتابتهما لم تتم إلا بعد هذا التاريخ، وأن تأليفهما أو جمع حوادثهما، كان بعد حدوث ما هو مدون فيهما بوقت طويل. وكان الاعتماد في كل ما يشتملان عليه من أخبار قد أخذ من كتب سابقة.

وبالرغم من أن هذين السفرين يسميان سفري الملوك، فالأشخاص الظاهرون فيهما هم من الأنبياء.

وقد كان لمهمة الأنبياء في هذا العصر وضع خاص، فهم رجال سياسة وهم معلمون للدين والآداب. ويمكن فهم ما جاء في السفرين إذا تذكرنا

أنهما كتبا من أولهما إلى آخرهما من وجهة نظر الأنبياء، التي كان أساس مهمتهم حفظ ديانة يهوه ضد الاتجاه القوي إلى عبادة الأوثان، كما كانت مهمتهم الدفاع عن الشريعة وتفسيرها، والتدليل على مصير الظلم والطمع والخلاعة وسوء المعاملة، وقد ناد الأنبياء بكل هذا في شجاعة لا تعرف الخوف، مجاهدين في سبيل الله لمقاومة رذائل الملوك والشعب.

## مضمون النص:

### يمكن تقسيم السفر بجزئيه إلى ثلاثة أقسام:

أولا: ملوك أول من الإصحاحات ١ إلى ١١، وتتضمن أخبار خلافة سليمان لأبيه داود من سنة **٩٧٥** ق.م إلى سنة **٩٢٩** قبل الميلاد. ويبين الإصحاحان الأولان الأيام الأخيرة لداود وهما بمثابة مقدمة تشرح كيفية جلوس سليمان على العرش، وتعتبر أيضا تتمة لسفر صموئيل الثاني. في الإصحاحات من الثالث إلى العاشر تتحدث عن حكمة سليمان وكيفية استخدامها، وزواجه بالأميرة المصرية، ووصف مملكته ونظامها وشرح علاقته مع حيرام ملك صيدا، وبيان للمباني التي شيدها وبخاصة الهيكل، وتفصيل لنظام ملكه، وزيادة ملكة سبأ، وثروة سليمان ومجده، وأسباب سقوط المملكة وهي تعدد الزوجات وعبادة الأوثان فيحل عليه العقاب، ويتآمر عليه الأعداء في الداخل وفي الخارج، وتتمرد أدوم وسوريا من حكمه، ويحاول يربعام الثائر أن يحدث انقلابا يعزل فيه سليمان ليجلس على عرشه، ولكنه يفشل ويلجأ إلى مصر، ثم موت سليمان.

ثانياً: التاريخ المتزامن لمملكتي إسرائيل ويهوذا من الإصحاحات ملوك

أول الإصحاح ١٢ إلى ملوك ثاني الإصحاح ١٧، أي من سنة ٩٢٩ ق.م. إلى سنة ٧٢٢ قبل الميلاد تقريباً.

وتتحدث هذه الإصحاحات عن أسباب انقسام المملكة إلى مملكتين، ينفرد يربعام (٩٢٩- ٩٠٩ قبل الميلاد) بمملكة الشمال، ورحبعام (٨٥٠- ٨٤٣ ق.م) بمملكة يهوذا في الجنوب. ثم يحكي خطية يربعام الذي صنع عجلين من الذهب لعبادتهما في دان وبيت إيل. وبعد عداء طويل بين المملكتين، تقاربتا بزواج يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا (٨٥٠- ٨٤٣ قبل الميلاد) من عثليا بنت خاب ملك إسرائيل (٨٧٣- ٨٥٤ ق.م) ونشاط النبيين:

إليا واليشع، ودب الخلاف من جديد بين الملكتين في أيام ياهو (٨٤٢ ق.م) وقطع علاقة مملكة إسرائيل بمملكة يهوذا، وفي سنة ٧٣٨ أخذت مملكة إسرائيل في دفع الجزية لتغلات فلاسر الرابع ملك أشور. وحاصر شلمناصر الرابع ملك أشور السامرة، وفي عام ٧٢٢ ق.م قضى خليفة سرجون ملك أشور على مملكة إسرائيل، وفي سنة ٧٢٢ ضمت السامرة إلى أشور، وسبي الشعب إلى أشور، وحمل الأشوريون شعباً جديداً ليحل محل اليهود المسبيين.

ثالثاً: تاريخ مملكة يهوذا إلى عصر السبي البابلي (الإصحاحات ملوك ثاني من ١٨ إلى ٢٥).

وتحدثت الإصحاحات عن حكم أسرة داود، ودخول عبادة الأوثان في يهوذا، ونشاط النبيين اشعيا وارميا. وفي السنة الثامنة عشرة من حكم

يوشيا وجد سفر الشريعة في بيت الرب، وقيامه بإصلاح وتغيير في الطقوس (٦٢٢– ٦٢١ ق.م)، سقوط يوشيا في معركة مجدو التي انتصر فيها نخا وفرعون مصر سنة ٦٠٩ قبل الميلاد، سبي يهوياكين وأسرته إلى بابل على يد نبوخذناصر سنة ٥٩٧ ق.م، قيام صدقيا ملك يهوذا ضد نبوخذناصر، تدمير أورشليم ونهاية مملكة الجنوب في صيف سنة ٥٨٧ ق.م، تعيين جدليا حاكماً على من بقى من اليهود في أرض يهوذا، قتل جدليا، هجرة من بقى من اليهود إلى مصر، أطلق ملك بابل الجديد سراح يهوياكين من السجن وعامله بالحسنى بعد سجنه ٣٧ عاما (سنة ٥٦١).

ففي سفر الملوك. بجزئيه تتمثل وقائع التاريخ، في صورة نزاع بين الإيمان والجحود، بين عبادة يهوه المصدر الأعلى الأزلي للحياة وبعل الذي تتمثل فيه قوى الطبيعة. فمملكة إسرائيل تنحرف عن الله وتعبد الأوثان ولهذا يمحى ذكرها من سفر الحياة، بينما نرى أن مملكة يهوذا التي أتيح لها بعض ملوك أمناء، دافعوا عن عقيدتهم وإيمانهم، ثابت عن خيانتها في أثناء نفيها في بابل، فعادت وتجددت حياتها.

ولذلك حرص كاتب السفرين أن يظهر نشاط الأنبياء ويصف بالتفصيل هذا النشاط ليدلل على أن عبادة الأوثان وغيرها هي أسباب زوال إسرائيل (ملوك ثاني الإصحاح ١٧)، وأثبت أن وجود أسرة داود، دليل على شرعيتها.

وظاهرة أن كاتب السفرين استعان بمصادر مختلفة في كتابته، نتبين ذلك من بعض نصوص متكررة مثل ما نجده بين ملوك أول ٩: ٢٦– ٢٨

وبين ملوك أول ١٠: ١١ وملوك ثاني ٩: ٢٦ وبين ملوك أول ٢١: ١٣.

وكذلك نجد اختلافاً في أسلوب الكتابة، وفي الحكم على الشخص الواحد في مواضع مختلفة من السفرين. ونلاحظ أنه استعان بالمصادر الآتية.

١- تاريخ سليمان (ملوك أول ١١: ٤١) ويسميه سفر أمور سليمان.

٢- تاريخ ملوك يهوذا (ملوك أول ١٤: ٢٩) ويسميه سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا، وقد أخذ عنه في خمسة عشر موضع.

٣- تاريخ ملوك إسرائيل (ملوك أول ١٤: ١٩)، ويسميه سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل، وقد أخذ عنه في سبعة عشر موضع.

كانت هذه الحوليات الرسمية يدونها مسجلون (ملوك أول ٤: ٣)، وربما كانت الأخبار التي سجلها سفرا الملوك مستقاة من سجلات الملوك المحفوظة، ثم أضيفت إليها أخبار الأنبياء مثل إليا واليشع وغيرهما.

ونحس في السفرين تناسقاً في سرد تاريخ المملكتين على طريقة التزامن فهو يسرد تاريخ ملوك يهوذا ثم يتحدث عن ملوك إسرائيل إلى آخر ملك ذكر اسمه من يهوذا، ثم يعود إلى ذكر ملوك يهوذا وهكذا.

تناول الكاتب كل هذا منسقاً أسلوبه التاريخي وسارداً قصة المملكتين مسلسلة في قصة واحدة. وكان هدف الكاتب أن يقدم بياناً، عن الطرائق التي تغلب فيها الدين على التاريخ، ولم يقصد أن يسرد التاريخ السياسي للشعب. ولهذا نلاحظ مثلا أنه أغفل بعض الحوادث الهامة مثل حرب

آخاب مع شلمناصر، لأنها لم تكن في نظره ذات قيمة، أي لم تكن لها علاقة مباشرة بمسلك الملك والشعب تجاه الله. وأوجز تعليقه على حروب يربعام الثاني وخلاصه السياسي في بضعة عبارات، بينما أسهب في سيرة ملوك آخرين مثل آخاب وحزقيا، لأن أعمالهم، سواء كانت صالحة أو سيئة، كان لها وزنها من الناحية الدينية.

واتبع الكاتب أسلوبه التاريخي على المنهج الآتي:

يبدأ بذكر الملك بالصيغة الآتية (ملوك ثاني ١٧: ١) "في السنة.. لفلان ملك يهوذا... ملك فلان في السامرة على إسرائيل مدة..." أو "في السنة.. لفلان ملك إسرائيل.. ملك فلان ملك يهوذا وكان ابن.. سنة حين ملك، وملك.. سنة في أورشليم، واسم أمه..." (ملوك ثاني ١٨: ١).

وكانت الصيغة النهائية بعد ذكر تاريخه على الوجه الآتي: "وبقية أمور.. التي عمل، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا (إسرائيل)، ثم اضطجع... مع آبائه ودفن مع آبائه في مدينة داود (مع آبائه ملوك إسرائيل)، وملك... ابنه عوضاً عنه" (ملوك ثاني ١٦: ٢٠ و١٤: ٢٩).

وكان الكاتب يقيم حياة كل ملك وسيرته فيقول مثلاً: "وعمل الشر في عيني الرب" (ملوك ثاني ١٧: ٢) أو "عمل ما هو مستقيم في عين الرب" (ملوك ثاني ١٥: ٣):

## القيمة التاريخية للسفرين:

كانت آخر الأحداث التي ذكرها سفر الملوك هي إطلاق سراح يهويا

كين من السجن عام ٥٦١ ق.م (ملوك ثاني ٢٥: ٢٧)، ويأتي ذكر يهويا كين بمناسبة موت يهوياقيم (سنة ٥٩٨) في الإصحاح ٢٤ من سفر الملوك الثاني ٢٤: ٥ وما يلي. فإذا كانت الفقرة (ملوك ثاني ٢٥: ٢٧- ٣٠) التي تتحدث عن إطلاق سراح يهوياكين قد أضيفت فيما بعد إلى السفر، فإنه من المرجح أن يكون سفر الملوك قد ألف بعد سنة ٥٨٧ مباشرة وهي سنة تدمير أورشليم على يد نبوخذناصر.

وتعزو التقاليد اليهودية كتابة سفري الملوك إلى أرميا النبي، وقد أخذ كثير من العلماء المسيحيين بهذا الرأي. والدارس لأسلوب أرميا ومادته اللغوية يجد تشابها واضحاً بينها وبين أسلوب سفر الملوك ومادته اللغوية، وكذلك نجد سرداً مفصلا للحوادث التي عاصرها ارميا. ونلاحظ أن ذكر أرميا لم يرد في سفري الملوك، وذكر غيره من الأنبياء، مع أن أرميا كان له شأن في هذا العصر.

ومن المرجح أن تكون كتابة سفر الملوك قد تمت في فلسطين حيث كانت الأحداث، وقد تكون قد كتبت في بابل أيام السبي.

ومما يستحق الذكر أن بعض الآثار التي كشف عنها تنوه ببعض الأحداث والملوك التي وردت في سفري الملوك: منها نقش في معبد الكرنك يتحدث عن انتصار شيشنق الأول على فلسطين وسوريا سنة ٩٥٢ قبل الميلاد وقد ذكر عدة مدن فلسطينية فتحها، ويقول سفر الملوك الأول ١٤: ٢٥، ٢٦ "وفي السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت

الملك، وأخذ كل شيء، وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان".

وجاء ذكر الملك ياهو على مسلة أقامها شلمنصر الثالث (٨٥٩–٨٢٥) ضمن قائمة الملوك الذين دفعوا له الجزية.

### التقويم المستخدم في سفري الملوك:

كانت السنة الشمسية يحسب بها في إسرائيل وفي يهوذا. وكانت السنة المدنية أو السياسية تبدأ في المملكتين في الخريف أول تشرين (أكتوبر) وذلك حتى خراب أورشليم سنة ٥٨٧ قبل الميلاد.

وفي سنة ٥٨٧ ق.م استخدم التقويم البابلي، الذي تبدأ فيه السنة بشهر نيسان (مارس).

أما الطريقة التي استعملت في حساب سني حكم الملك، فقد كانت الطريقة التي سادت في أشور وبابل، وهي طريقة حساب السنة الأولى لحكم الملك من أول السنة الجديدة التي تلي جلوسه على العرش، وكانت السنة التي يجلس عليها تعد من سني حكم الملك السابق.

ومن سنة ٩٣٢ ق.م إلى سنة ٥٨٧ ق.م استخدمت كل من مملكتي الشمال والجنوب طريقة الحساب الذي كان شائعاً في مصر، وهي حساب السنة التي تولى فيها الملك العرش والسنة التي مات فيها، من سني حكمه.

وبعد السبي استخدم اليهود الطريقة البابلية، ولهذا يجب أن نضع في اعتبارنا اختلاف سني حكم الملوك بالنسبة لاستعمال أي الطريقتين.

# سفرا الأيام الأول والثاني

هما في الأصل سفر واحد، وقد قسمته الترجمة السبعينية إلى جزءين.

ويشمل السفران ذكر التاريخ من ابتداء الخليقة إلى العودة من السبي البابلي، وأمر كورش سنة ٥٣٨ بإعادة بناء الهيكل.

ويعالج السفر العصر القديم بقوائم أنساب، ويذكر عصر داود وسليمان بشيء من التفصيل في الناحية الدينية، ويهتم في عصر الملوك بمملكة يهوذا.

**ويمكن تقسيم موضوعات السفر إلى ثلاثة أجزاء رئيسية:**

أولا- أخبار الأيام الأول الإصحاحات من ١ إلى ٩ وهي جداول أنساب من آدم إلى شاول.

ثانياً- أخبار الأيام الأول الإصحاحات من ١٠ إلى ٢٩ وفيها تاريخ داود، وموت شاول، ونقل تابوت العهد إلى أورشليم. وانتصار داود على الفلسطينيين والمؤابيين والسوريين والعمونيين، والاستعداد لبناء الهيكل، وتقسيم الكهنة واللاويين والمسبحين والبوابين، وجداول بالموظفين المدنيين والعسكريين، وموت داود.

ثالثاً- أخبار الأيام الثاني الإصحاحات من ١ إلى ٩: عصر سليمان، بناء الهيكل، حكم سليمان ونهايته.

والإصحاحات من العاشر إلى الثلاثين. تاريخ مملكة يهوذا إلى سبي بابل، وأمر كورش بالسماح ليهود السبي بالعودة.

وبالجملة فإن نص أخبار الأيام يسير جنباً إلى جنب مع نص صموئيل والملوك، ولكنه يستقل عنهما، لأن مؤلف أخبار الأيام قصد إظهار التاريخ الكهنوني، أما مؤلف صموئيل والملوك فعنى بالتاريخ السياسي ويتضح هذا من الخصائص الآتية:-

١- ذكر قوائم الأنساب والنصوص والقرارات.

٢- اقتصار المؤلف على تاريخ مملكة يهوذا، وعلى تاريخ أسرة داود.

٣- اهتم بهيكل أورشليم ونظامه المتصل بالطقوس والقوائم الدقيقة للكهنة واللاويين والمسبحين والبوابين (أخبار الأيام الأول ٦: ٢٣- ٢٥، وأخبار الأيام الثاني ٨: ١٤- ١٦). وذكر بالتفصيل الملوك الصالحين مثل آسا (أخبار الأيام الثاني الإصحاحات من ١٤ إلى ١٦) ويهوشافاط (أخبار الأيام الثاني الإصحاحات من ١٧ إلى ٢٠) وحزقيا (أخبار الأيام الثاني الإصحاحات من ٢٩ إلى ٣٢) ويوشيا (أخبار الأيام الثاني الإصحاحان ٣٤، ٣٥). وأبرز حسنات داود وسليمان فيما يتعلق ببناء الهيكل وتغاضى عن أخطاء داود وعبادة سليمان للأوثان.

وواضح أن المؤلف إنما قصد إظهار الناحيتين الدينية والقومية. ولم يهتم بالتاريخ السياسي لمملكة يهوذا بالقدر الذي وجهه إلى تاريخها الديني.

## مصادر السفر وكاتبه:

استخدم السفر مصادر تاريخية ونبوات مختلفة. فنجد أنه أخذ جداول الأنساب من سفر التكوين (أخبار الأيام الأول من الإصحاح ١ إلى ٢:٢).

كما أخذ من ٢: ٣ إلى ٩: ٤٤ من الخروج ومن يشوع، ومن مصادر أخرى غير معروفة.

ومن الإصحاح العاشر فصاعداً يتفق نص السفر حرفياً من حوالي ٤٥ فقرة مع أسفار صموئيل والملوك، كما قيم كل ملك من ناحية أخلاقه وسيرته كما فعل سفر الملوك.

ويذكر المؤلف أسماء بعض مصادره وهي:

١- سفر الملوك ليهوذا وإسرائيل (أخبار الأيام الثاني ١٦: ١١).

٢- سفر ملوك إسرائيل ويهوذا (أخبار الأيام الثاني ٢٧: ٧).

٣- أخبار ملوك إسرائيل (أخبار الأيام الثاني ٢٣: ١٨).

٤- أخبار الأيام للملك داود (أخبار الأيام الأول ٢٧: ٢٤).

وبالإضافة إلى هذه المصادر التي يخيل إلينا أنها كانت سجلات للملوك، والتي استقى منها مؤلف سفر الملوك، ذكر المؤلف عدة مرات أسفار الأنبياء مثل صموئيل وناثان وجاد وشمعيا وعدو وإشعيا وأخيا الشيلوني وياهو بن حناني.

ويذكر سفر أخبار الأيام الثاني ١٣: ٢٢ مدراش النبي عدو.

وذكر أخبار الأيام الثاني ٣٥: ٢٥ أن إرميا النبي له مراثي في يوشيا، ولكن لم تصل إلينا هذه المراثي.

أما تاريخ تدوين السفر فيقع بعد السبي، وذلك لعدة أسباب منها.

أولا– أتى سفر أخبار الأيام الأول ٣: ١٩– ٢٤ بسلسلة نسل زر بابل إلى الجيل السادس، ونجد في بعض النصوص مثل الترجمة السبعينية والترجمة السريانية البسيطة نسل زر بابل يصل إلى الجيل الحادي عشر.

ثانيا– وردت في السفر بعض تعبيرات عن النقود وعن التقويم تدل على عصر كان اليهود فيه تحت الحكم الفارسي، وكذلك قرار كورش ملك الفرس (أخبار الأيام الثاني ٢٦: ٢٢ و٢٣).

ثالثاً– تشابه الأسلوب والمفردات بين سفري أخبار الأيام وبين سفري عزرا ونحميا.

ويذهب بعض العلماء أن السفر صنف في أول العصر اليوناني (٣٠٠– ٢٥٠ ق.م)، ويعتمدون في ذلك على امتداد تسلسل النسل، وعلى ما ورد في أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٢٢ من ذكر كورش على أنه ملك فارس وهذا يدل على أن عصر الفرس كان قد انتهى. لأنهم يذهبون بأنه لو كان حكم الفرس قائما لما ذكر كورش على أنه ملك فارس، بل يذكر باسمه فقط وكاتب السفر غير معروف. والتقليد اليهودي ينسب كتابة السفر إلى عزرا، ويرى العلماء إن هناك توافقا بين آراء عزرا والآراء التي أوردها السفر، وينتهي سفر أخبار الأيام الثاني بنفس الفقرة التي يبتدئ بها سفر عزرا، ولكن هذا كله لا يكفي في إقامة الدليل بأن عزرا هو كاتب

السفر. ولعل الأسباب التي ذكرناها تؤيد أن السفر كتب في آخر العصر الفارسي.

## قيمة السفر التاريخية:

وجه بعض العلماء نقدهم للسفر من الناحية التاريخية، وقالوا إن هناك تعمداً في الاختلافات التي أوردها السفر عن ما جاء في سفر الملوك، وذلك لأن سفر الملوك حين ألف، لم يكن تقنين الناحية الطقسية لأسفار موسى الخمسة قد عرف بعد، بينما كان كاتب سفر أخبار الأيام يعرف التشريعات الدقيقة بالنسبة للطقوس منذ عصر داود وسليمان.

ويذهبون إلى أن كل ما ورد في أخبار الأيام، في تثبيت الشرائع، إنما كتب في عصر متأخر للتدليل على الأصل الموسوي للشرائع.

ويرد بعض العلماء على هذا الرأي ببعض الأدلة منها:

ليس هناك اختلافات صريحة غير ما نجده بين صموئيل الثاني ٨: ١٨ "وبنو داود كانوا كهنة" وبين أخبار الأيام الأول ١٨: ١٧ "وبنو داود الأولين بين يدي الملك" أي من كبار الموظفين.

والواقع أنه في النص الأول، يمكن ترجمة لفظة (كوهنيم بالعبرية) بموظفين لا بلفظة كهنة. والنص العبري لسفري أخبار الأيام لم توجه إليه عناية كافية، ففيه من الأخطاء ما لا نجده في الأسفار الأخرى. وأكثر هذه الأخطاء يرجع إلى غفلة النساخ، ويتعلق بالأرقام وبطريقة كتابة الأسماء. ولا يكون الاختلاف عادة إلا في إبدال حرف مكان آخر مشابه له في الشكل.

وقد يظهر في النص عدم مطابقته لنصوص المصادر التي أخذ عنها، وذلك ناتج من اختصار مؤلف سفر أخبار الأيام لبعض الحوادث أو ذكره لتفاصيل أضافها من مصدر آخر، لم يستعمله كاتب سفر الملوك، وأكثر ما أضافه يتصل بالهيكل والكهنة والعبادة.

# سفرا عزرا ونحميا

كان سفرا عزرا ونحميا في الأصل يكونان سفرا واحداً يسمى سفر عزرا، وقد فصلا إلى سفرين في الترجمة السبعينية.

ويسرد لنا السفران، عودة الشعب من السبي، ببيانات تفصيلية مستمدة من السجلات الرسمية، وذلك في مجموعة من القوائم. ويبينان الكيفية التي أقام بها عزرا ونحميا النظام السياسي والترتيب الديني.

ويتصل السفران اتصالا وثيقا بسفري أخبار الأيام ولكن على الرغم من ذلك فإن كل سفر منهما مستقل بذاته. ويهدف السفران إلى إظهار تحقيق النبوات من ثنايا الأحداث التاريخية.

ويغلب على الظن أن أسفار أخبار الأيام وعزرا نحميا كان يضمهم كتاب واحد في الأصل.

## مضمون السفر:

### يتكون سفر عزرا من قسمين:

الأول: أخبار عودة اليهود وإعادة بناء هيكل أورشليم في عصر كورش ودارا الأول (الإصحاحات من ١ إلى ٦).

بذكر عزرا في هذا الجزء استيلاء كورش ملك فارس سنة ٥٣٨ قبل الميلاد على بابل، والأمر الذي أصدره بعودة يهود السبي إلى فلسطين،

وإعادة بناء الهيكل، الذي كان قد خرب بعد سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد، ثم يتحدث عن رجوع عدد كبير من اليهود إلى فلسطين تحت زعامة شيشبصر رئيس يهوذا، وكيف حمل معه الآنية المقدسة التي نهبها بنوخذ نصر من الهيكل، وقد أمر بردها إليهم كورش. ويسرد عزرا قوائم بأسماء الذين عادوا تحت زعامة زر بابل ومعه يشوع كبير الكهنة. وفي مستسهل الشهر السابع بنوا المذبح، وغضب جيرانهم وحاولوا وقف البناء، فتوقفت أعمال البناء.

وفي السنة الثانية لحكم دارا الأول، أي سنة ٥٢٢ قبل الميلاد، وطوعا لتعليمات النبيين حجي وزكريا، استأنف زر بابل ويشوع أعمال البناء، وتم البناء في السنة السادسة من حكم دارا.

الثاني: خبر عودة فوج آخر من السبي تحت زعامة عزرا إلى أورشليم، وإصلاحاته الدينية على حسب شريعة موسى (الإصحاحات من ٧ إلى ١٠).

كان عودة هذا الفوج من اليهود في السنة السابعة من حكم ارتحشستا ملك فارس أي سنة ٣٩٨ قبل الميلاد.

يشرع عزرا في تنفيذ شريعة موسى، ويعود حاملا معه بعض الآنية المقدسة.

ولما رأى عزرا أن اليهود قد اتخذوا لأنفسهم زوجات من الأمم الأخرى، أمرهم أن يتخلوا عن زوجاتهم الأجنبيات لمناقضة هذا للشريعة وبهذا أبطل الزواج المختلط.

أما سفر نحميا فينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

الأول: تلقي نحميا أنباء عن الحالة السيئة في أورشليم وبؤس سكانها، وتوسل إلى الملك بأن يأذن له بالعودة إلى أورشليم، وكان من موظفي البلاط، ويأذن له الملك، فيصل إليها في السنة العشرين من حكم ارتحشسستا. وشرع نحميا في بناء سور المدينة في ٥٢ يوماً، وذلك على الرغم من مقاومة أعدائه (الإصحاحات من ١ إلى ٧).

الثاني: إصلاحات عزرا ونحميا الدينية، وتلاوة الشريعة على مسامع الشعب في الشهر السابع، عيد المظال، واعتراف الشعب بخطاياه، وتجديد العهد مع الله، ومنع الزواج بالأجنبيات. قوائم بأسماء سكان أورشليم وبعض المدن اليهودية، قوائم بالكهنة واللاويين الذين رجعوا مع زر بابل (الإصحاحات من الثامن إلى الثاني عشر).

الثالث: ولي ارتحشسستا نحميا واليا أو مرزبانا على أورشليم مدة اثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى بلاط الملك في السنة الثانية والثلاثين لحكم ارتحشسستا، وفي أثناء غيابه بدأت عوامل الفساد القديمة تدب من جديد، ولما نمى إليه خبرها، استأذن الملك ثانية في العودة، وألقيت إليه مقاليد السلطة مرة أخرى، فوجه نشاطه في إزالة أسباب الفساد، ومنع الاتجار يوم السبت، ومنع الزواج بالأجنبيات، ثم قام بإصلاح ثان.

ويظن أن نحميا عاد بعد هذا إلى بلاد فارس حوالي سنة ٤١٣ ق.م وتوفى هناك.

ويظهر الوضوح في مضمون السفرين، ولكن تحديد زمن الأحداث ليس من العسير، لأن الخلط بين المصادر المختلفة، والاضطراب في النص

يخلقان صعوبات في فهم ما يتعلق بالتاريخ.

وهناك فروض مختلفة تحاول أن تفسر الناحية الزمنية.

والعقبات الأساسية التي تعترضنا:

١- كم كانت الدفعات التي عادت من السبي إلى فلسطين؟ هل هي ثلاث دفع أو دفعتين؟

في السنة السابعة لأرتحشستا رجع مع عزرا فريق من السبي إلى فلسطين (عزرا ٧: ١- ٩)، وجاء في عزرا (١: ٨) خبر عودة فريق تحت زعامة شيشبصر، وفي عزرا (٢: ٢) ذكر لفريق عاد مع زر بابل.

وقد ظن بعض العلماء أن شيشبصر وزر بابل شخص واحد يحمل أسمين أو أن شيشبصر كان الرئيس وزر بابل مساعد له، وأن الفريقين الأخيرين هما في الواقع فريق واحد، ولكن أكثر العلماء يرجحون أن الدفع كانت ثلاث.

٢- لم يحدد السفر الزمن الذي رجع فيه عزرا مع فريق من اليهود، وفي

٣- يستخدم عزرا ١: ١ التعبير "ملك الفرس" بينما نجده يستخدم تعبير "الملك" في آيات أخرى (عزرا ٤: ٦، ٢٣ و٧: ١١).

٤- القوائم التي أوردها نحميا بأسماء الكهنة واللاويين تصل متسلسلة إلى عصر الإسكندر (نحميا ١٢: ١٠ و٢٢) رئيس الكهنة الذي ذكره نحميا هو يدوع وكان أيام الإسكندر.

٥- يتفق النص الأخير لسفر أخبار الأيام الثاني والنص الأول من عزرا،

كما يتشابه أسلوب السفرين.

فالمصنف الذي جمع الوثائق المختلفة ليكتب نص سفري عزرا ونحميا، يحتمل أن يكون هو الذي صنف سفر أخبار الأيام. ويذهب التقليد اليهودي أن عزرا هو كاتب السفرين.

والسفران في وضعهما الحالي لم يكتبهما عزرا أو نحميا، وإن تكن بعض نصوصه ترجع إليهما. فهما دونا الحوادث التي وقعت لهما في مذكرات خاصة، واستخدمها كاتب السفر الذي نسق السفرين وصاغهما في وضعهما الحالي الذي بين أيدينا.

ويكون الكاتب قد وضع النص الذي بين أيدينا حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد.

# سفر إستير

يشتمل هذا السفر على حادثة وقعت لليهود الذين لم يعودوا من السبي.

وينسب هذا السفر إلى اسم المرأة التي ذكر قصتها السفر في عهد ملك فارس أحشو يروش. وهو يظهر كيف أنقذت إستير اليهود من مصيرهم المحتوم، وكيف أبطلت بأسلوبها مكيدة هامان، التي كان يرمي من ورائها إلى إبادة اليهود في مملكة فارس.

وهدف الكتاب هو تفسير الأصل التاريخي لعيد البوريم الذي يحتفل به في يوم ١٤ أو ١٥ أذار (مارس) تذكاراً لنجاة اليهود، والذي ذكر لأول مرة في سفر المكابيين الثاني ١٥: ٣٦.

## مضمون السفر:

### ينقسم السفر إلى ثلاثة أجزاء:

الأول: يتضمن انتقال إستير من ذل العبودية إلى أن أصبحت ملكة فارس، والفائدة التي حصل عليها ملك فارس من مردخاي عمها (الإصحاحان ١ و٢).

الثاني: محاولة هامان وحيلته لاستئصال اليهود (الإصحاحات من ٣ إلى ٥).

الثالث: تدخل إستير وإبطال حيلة هامان، ثم أمر الملك بإعدامه.

## تاريخ السفر:

### لتحديد تاريخ تأليف النص، علينا أن نعتبر الحقائق الآتية:

إن كاتب النص على علم تام بالأمور في فارس، وهو لا يتحدث عن أورشليم أو عن فلسطين أو عن الهيكل. ولغة النص تشبه لغة سفر أخبار الأيام والجامعة ودانيال. ولهذا يمكن تحديد تاريخ كتابته في العصر الفارسي أو في العصر اليوناني، وعلى أية حال بعد سقوط الإمبراطورية بقليل (٣٣٠ ق.م).

وقد احتفظت اليهودية بطابع الدين القومي، وأبقت على الشعور القومي للمؤمنين بها، ولكن المسيحية والإسلام دينان عالميان يتجاوزان حدود الوطن إلى العالم.

## التاريخ:

إن مصدرنا الأساسي عن تاريخ الشعب العبري هو العهد القديم، أي مجموعة الأسفار المقدسة التي تقص ذلك التاريخ وتفسره. وليست المعلومات التي يقدمها العهد القديم على نسق واحد في جميع فصوله من حيث مداها وطبيعتها، ولكن يمكن القول مع ذلك أن التاريخ العبري مدعم في جملته بوثائق كافية. فبينما كان الناس طوال عدة قرون وحتى عهد قريب، لا يعرفون عن حضارة الشرق الأدنى القديم عامة سوى ما يقصه عليهم العهد القديم، أو لا يعرفون غيره إلا القليل، كان التاريخ العبري معروفا على نطاق واسع، وكان مادة من مواد التربية والثقافة الدينيتين في العالم المسيحي.

ولكن هناك مشاكل مختلفة تتعلق بمصادر أسفار العهد القديم وزمن وضعها وطريقة تصنيفها، ولاسيما الأسفار الخمسة الأولى أو التوراة، تجعل من تاريخ العبريين، في مراحله الأولى على الأقل، موضعاً للجدل.

وما تقوله التوراة عن أصول العبريين الأولى يدور حول ثلاث حقائق جوهرية:

أولها ظهور الجماعة العبرية الأولى في جنوب بلاد ما بين النهرين، فسفر التكوين يقص علينا كيف هاجر إبراهيم من "أور"، وصعد في نهر الفرات حتى حران، ومن هناك نزل إلى فلسطين، وكيف وعده الله تلك الأرض.

والحقيقة الثانية هي إقامة العبريين في مصر، وقد انتهت باضطهادهم على يد أحد الفراعنة وخروجهم من مصر بقيادة موسى.

والحقيقة الثالثة هي الرحلة من مصر إلى فلسطين، وفي خلالها ظهر رب الأجداد لموسى باسم يهوه، وجدد العهد بينه وبين ذرية إبراهيم، وأعلن الشريعة.

تقول الرواية إن موسى مات وأرض الميعاد على مرأى منه، وإنه ترك فتحها لخليفته يشوع. وتصور لنا الرواية تغلغل العبريين في فلسطين في صورة سلسة من الحملات، وجهت إلى وسط المنطقة وشمالها وجنوبها. وتنسب هذه الأحداث إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد استناداً إلى ذكر إسرائيل على نصب أقامه الفرعون مر إن بتاح (منفتاح) وإلى أدلة أثرية تشهد بتدمير بعض المدن، وإن وجدنا هنا بعض المشاكل وبعض النقط الغامضة. ويذكر النص أن فرعون فتح بعض المدن الفلسطينية وأهلك

إسرائيل أيضاً. ولكن هل يقصد هنا إسرائيل التي عرفت في التوراة أو قصد جماعة أقدم منها كانت تسمى إسرائيل؟

وليس من الضروري أن تكون حركة التغلغل العبري حركة فتح عنيف لا غير، فربما تم جانب منها بالتغلغل السلمي. وقد لاءم القادمون الجدد، وهم من البدو بين أنفسهم وبين بيئتهم الجديدة شيئاً فشيئاً، وانتقلوا من حياتهم القديمة إلى الحياة الزراعية المستقرة. وقد استوطنوا مدناً معينة؛ ولكنهم كانوا يقيمون خاصة في المناطق الريفية، وكانت تضم أراضي كثيرة لم يفتحوها بعد.

ومن المحتمل أن القادمين الجدد وجدوا، إلى جانب الكنعانيين والجماعات خلال عهد سليمان المزدهر؛ ولكن عند موته عاد التنافس القديم من جديد وشطر المملكة شطرين.

هذا إلى أن تقاليد العبريين البدوية لم تكيف نفسها وفق الملكية في يسر، فعلى الرغم من أن الملكية كانت أمراً لا مناص منه لكي تشغل إسرائيل مكاناً في الميدان السياسي للشرق، كانت روح أهلها الديمقراطية الاستقلالية تعرقل الملكية وتنال منها. وقد استعان معارضو السلطة الدينية، فأوجدوا داخل الدولة ثنائية أخرى إلى جانب ثنائية الشمال والجنوب. ولم يلبث شاول أن اصطدم بالكهنة، وكان هذا هو السبب الأساسي لسقوطه ومجيء داود بعده. وقد أدرك داود وسليمان قوة المركزية الدينية وسلطة الكاهن الأكبر، فاتبعا السياسة التي يتبعها الملوك والأباطرة دائماً في مثل هذه الأحوال، وذلك أن بسطا "حمايتهما" على الدين، وألحقا الكاهن الأكبر ببلاطهما، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة.

وكان أثر هذه السياسة هو أيضاً ذلك الأثر الذي أورد لنا التاريخ أمثلة كثيرة أخرى له، فقد سلك الكهنة بطبقاتهم المختلفة مسلك موظفي الدولة، فانصبت الكراهية عندئذ على الدولة والدين الرسمي معاً. وحدث صدع بين الدين الرسمي والآمال الدينية لأولئك الذين كانوا ينظرون إلى الدين على أنه أكثر من شكل جامد. وتطور التوتر إلى معارضة، وكان الأنبياء بعد انقسام المملكة لسان هذه المعارضة. فقيام الأنبياء كان مظهراً تلقائياً لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التي فرضها الحكم الملكي على الدين. وكان الأنبياء يدعون إلى التمسك بالأفكار القديمة، وكانوا من أوائل المنادين بتلك الفلسفة للتاريخ التي تنتمي إلى جوهر الدين العبري. فقد رأوا أن الاضمحلال السياسي الذي تبع انقسام المملكة هو أثر سخط الله على شعبه العاصي.

ويبدأ تاريخ المملكة الموحدة بشاول حوالي عام ١٠٢٠ ق.م. ويمكن أن يقال عنه أنه كان مهيئاً بطبيعته للنجاح في ظروف عصر القضاة، وللفشل في أحوال عصر الملوك؛ فقد كان شخصية محاربة متهورة طاغية، حظها من الروح الدبلوماسية قليل. وهذا هو السر في مصيره المحزن. فقد وفق توفيقاً رائعاً في توحيد جميع القبائل تقريباً تحت زعامته ضد الفلسطينيين، وقادها إلى النصر، فكوفئ على ذلك بالملكية، ولكن عجزه عن السيطرة على الفئات المتعارضة داخل مملكته منعه من توطيد انتصاراته أو سلطته، وأدى إلى سقوطه. وكان نزاعه مع داود، زوج ابنته من أهم عوامل سقوطه؛ فانصداع ما بينه وبين داود أبعد عنه تأييد طبقة الكهنة القوية. وقد قتل وهو يحارب الفلسطينيين الذين كانوا يفيدون من تفكك الدولة ليفتحوا من جديد المنطقة الواقعة غربي الأردن، ويعيدوا سلطانهم على القبائل العبرية.

ولكن أعاد داود إلى إسرائيل حظها الضائع، وكان جلوسه على العرش حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. وكان قد بدأ بتكوين دولة صغيرة خاضعة للفلسطينيين، ولكن مقدرته في الحرب والسياسة معاً أكسبته الاستقلال، وأقامته ملكا على إسرائيل مكان أسرة شاول، وبالاستيلاء على أورشليم وباستعادة تابوت العهد صار للدولة الناهضة من جديد مركزها السياسي والديني، وبسلوك سياسة قوية موجهة توجيهاً موفقاً صارت لها السيطرة على فلسطين والمناطق الصحراوية المحيطة بها وجزء كبير من سوريا.

ولكن مقدرة داود نفسها لم تكف لحفظ السلام في الدولة، بل أنه في وقت من الأوقات، حين تزعم ابنه أبشالوم الثورة ضده، اضطر إلى الفرار إلى ما وراء نهر الأردن لينجو بنفسه، وكان عليه بعد ذلك أن يقاتل للعودة إلى العرش، ولكن عهده كان في جملته عهد يسر ورخاء، ارتفع به اليهود في العصور المظلمة اللاحقة إلى مرتبة العصر الذهبي. وقد بلغت فيه الحياة الهيكلين القديمين في مدينتي بيت إيل (يقوم مكانها الآن برج بيتين) ودان في أقصى شمال فلسطين (ويقوم مكانها الآن تل القاضي غربي بانياس) ليجابه نفوذ أورشليم. وفي الجنوب، ظل ملوك يهوذا مخلصين للهيكل الكبير، ولكنهم غضوا النظر عن عبادة آلهة غريبة دخلت في عصر سليمان؛ فقُدِّر للمملكتين معاً أن تشهدا دخول عبادات وطقوس وثنية.

هذه الأحوال هي السبب في قيام الأنبياء. وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسي الديني الذي شهده عهدا الملكية، وأدى إلى تلوث دين يهوه القديم وفساده. وقد ندد الأنبياء بالبدع الوثنية، وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة. وقد لاحظ العلماء أن هذه النبوة تعبير عن انبعاث

روح الحرية الموروثة عن حياة البداوة، تلك الروح التي رأت في الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولاً عن العالم الخارجي المعادي لإسرائيل.

وقد قدر لتاريخ العبريين السياسي حتى السبي إلى بابل أن تلازمه دون فكاك دعوة الأنبياء، فقد تابعوا تقلباته جميعاً، ونددوا دائماً بسياسة الحكام. وكانوا يدعون إلى نقاء القلب وتواضعه، واستقامة السلوك، والإخلاص للعهد المعقود مع الله، ويفسرون مصائب الدولة اليوم أو غداً (كما يتنبأون) بأنها نتيجة لانحراف الناس عن الولاء لله بعد أن أضلهم الحكام.

وقد ظهرت طليعة الأنبياء الكبار في إسرائيل في القرن التاسع قبل الميلاد، حين قام فيها الياهو (أو إليا، وهو إلياس وإلياسين الذي ورد في سورة الأنعام: ٨٥ والصافات ١٢٣- ١٣٢) وإليشع (وهو تلميذ إليا وخليفته، وهو إليسع الذي ورد في سورة الأنعام: ٨٦ وفي سورة ص ٤٨) وإليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية أحاب (حوالي ٨٧٦- ٨٥٤ ق.م)، والقضاء في عهد يهو (حوالي ٨٤٢- ٨١٥ ق.م) على صور العبادة الوثنية. ولكن لم تكن لهذا الإصلاح نتائج باقية، فإن الانحرافات القديمة لم تلبث أن عادت إلى الظهور، وتدلنا الكشوف الأثرية على كثرة الأشجار المقدسة من النمط الكنعاني، ومذابح البخور، والتماثيل الصغيرة للمعبودات، والتمائم. وقد تعاقب أنبياء جدد في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، هم عاموس وهوشع وميخا. وكانت دعوة الياهو واليشاع بالعمل أكثر منها بالقول، فلم يخلفا لنا أسفاراً مكتوبة تعبر عن دعوتهما، ولكن سمي هؤلاء الأنبياء الجدد "بالمنشدين الجوالين"، لأنهم كانوا ينذرون الناس وينصحونهم بمواعظ وصلت إلينا في تلك الأسفار من العهد القديم التي تحمل أسماءهم.

وكانت حياة مملكة إسرائيل تدور حول عاصمتها السامرة، التي أسسها عمري ملك إسرائيل (حوالي ٨٨٧– ٨٧٧ ق.م) لتكون عاصمة جديدة لملكه بدل مدينة ترصا التي لا نعرف مكانها بعد على وجه التحقيق. وكان قد ملك في ترصا ست سنين (ملوك أول ١٦: ١٤). وظلت السامرة مقراً لملوك مملكة إسرائيل حتى نهايتها سنة ٧٢٢ ق.م. وقد وسعها هيرودوس بعد عام ٣٠ ق.م بسنوات قلائل، وأطلق عليها باليونانية اسم سبست أي الجليلة تكريماً للإمبراطور الروماني أغسطس ومعنى اسمه باللاتينية "الجليل" ولا تزال تسمى سبسطية. وكانت السامرة مزدهرة تنعم بالرخاء خلال عهد آحاب، ولكن اضطر يهو إلى التذلل لملك أشور شلمنصر الثالث، وحد الآراميون في دمشق من سلطان خليفته يهو آحاز (٨١٥– ٧٩٨ ق.م.) فلم يتجاوز ملكه الفعلي العاصمة إلا قليلا. وفي عهد يربعام الثاني (٧٨٣– ٧٤٣ ق.م شهدت إسرائيل آخر فترات أمجادها، ثم جاء الاضمحلال الأخير. فالإمبراطورية الأشورية كانت تتسع منتصرة لتبلغ ذروتها، وبعد مقاومة قصيرة تقلب فيها الحظ استسلمت مملكة إسرائيل أخيراً باستيلاء سرجون على السامرة عام ٧٢٢ ق.م.

وكان التاريخ يهوذا، كتاريخ إسرائيل، يتحكم فيه التنافس بين مصر ودول ما بين النهرين. فبعد فترة قصيرة من المجد في عهد عزياهو، صارت يهوذا في عهد حزقيا هو (٧٢٧– ٦٩٩ ق.م) تدفع الجزية لأشور، على الرغم من تخليص أورشليم من قوات سنخريب المحاصرة لها عام ٧٠١ ق.م. وكان اضطهاد الأنبياء على أعنفه في عهد منشي (٦٩٨– ٦٤٣ ق.م)، فقد حاول التقرب إلى الأشوريين بإدخال كثير من العبادات الوثنية الأجنبية. ولم

يلبث أن حدث رد فعل ضد ذلك في عهد يوشياهو (٦٤٠- ٦٠٩ ق.م.)، فقد قام بإصلاح ديني شامل عام ٦٢٢ ق.م، عاد فيه إلى وحدانية متشددة وثبت الطقوس الدينية، وأعاد دين يهوه إلى مجده القديم، وأزال العبادات الأشورية وغيرها من العبادات الأجنبية. ولكن بعد ذلك بقليل ضمت يهوذا إلى إمبراطورية نبوخذ نصر. إذ وقعت بين شقي الرحي: مصر من جهة وقوة بابل الصاعدة من جهة أخرى. وثارت أورشليم مرتين: المرة الأولى كانت عام ٦٠٢ ق.م في عهد يهويا قيم (٦٠٨- ٥٩٨ ق.م) الذي مات قبل أن يحل به عقاب نبوخذ نصر، فوقع العقاب على ابنه وخليفته يهويا كين، فقد زحف نبوخذ نصر على أورشليم وحاصرها، وكان يهوياكين في الثامنة عشرة من عمره ولم يمض عليه في العرش سوى ثلاثة أشهر، فآثر الاستسلام، فنفاه نبوخذ نصر إلى بابل هو وكبار قومه وأصحاب الحرف وأهل الحرب، ونهب كنوز أورشليم سنة ٥٩٨ ق.م، وفي المرة الثانية، عام ٥٨٦ ق.م في عهد صدقياهو (٥٩٧- ٥٨٧ ق.م)، آخر ملوك يهوذا أخذت أورشليم عنوة ودمرت في عنف، ونفى خيرة الشعب إلى بابل. وكان هذا بداية عصر السبي البابلي.

ويبرز نبيان خلال التاريخ العاصف لمملكة يهوذا: إشعيا، وقت سقوط إسرائيل، وإرميا، حين سقطت أورشليم هي أيضاً. فالخراب الذي تنبأ به إشعيا حل زمن إرميا. وقد شمل كلا النبيين باستنكاره شعوبا أخرى بل الإنسانية عامة، فكان ذلك إيذانا بالإصرار على فكرة حكم يهوه للعالم بأسره، ذلك الإصرار الذي برز خاصة في عهد السبي. وكان تشاؤم إرميا العميق واستسلامه الحزين آخر تعبيرات الفكر العبري، والسبي على الأبواب.

والتفت أهل السبي في مهانتهم السياسية إلى دينهم يلتمسون فيه العزاء، فقامت نهضة روحية عميقة، وأملهم في غد أفضل، وقد ظهر ذلك في نمو فكرة المسيح المخلص، وهي فكرة كانت قائمة فعلاً من قبل.

هذه المرحلة الجديدة من مراحل الدين اليهودي تعبر عنها رؤى حزقيال، نبي السبي. فالدين "الرسمي" قد زال مع الدولة، وزال بزواله ما أثاره من قلق وصراع، فانضمت عندئذ الرواية النبوية إلى السلطة الكهنوتية في جهد دائب لوضع صيغ جديدة للرواية القديمة. فوجدنا الوحداينة العالمية، بعد أن تحررت من قيود المشاكل السياسية الضيقة، تتحد مع الأمل في حياة دينية جديدة تدور حول الهيكل بعد أن يبنى من جديد.

ويظهر نبي كبير سماه الباحثون في العهد القديم إشعيا الثاني، لأن نبؤاته ضمت إلى نبوءات إشعيا، وهو يدعو إلى الوحدانية الخلقية النقية، ويرى في الشقاء وسيلة للتطهر أتاحها الله، وذلك نحو ما نجده في سفر أيوب، وتصل إسرائيل بهذا إلى فكرة التطهر التي تحدد نهاية تاريخها القديم.

وفي عام ٥٣٨ ق.م فتح الفرس بابل، وسمح كورش لليهود الذين في السبي بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد، ومنذ ذلك الحين صارت فلسطين تحت سيطرة دول أجنبية بل تحت حكمها المباشر، وبمجيء العصرين الهلينستي والروماني خرجت فلسطين عن نطاق التاريخ السامي المحض.

وكانت فترة حكم المكابيين القصيرة وكذلك حكم أسرة هيرودوس فيها شيء من الحرية في السلطة، والذي يمكن أن نعبر عنه بأنها كانت تحت الحماية. فقد ولى الرومان هيرودوس الأدومي الأصل ملكا على يهوذا عام

٣٧ ق.م، وكانت البلاد منذ عام ٦٣ ق.م خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وقد ضم الرومان إلى مملكة هيرودوس مناطق أخرى حتى كادت تشمل مملكته فلسطين كلها.

وكان هيرودوس صديقاً للرومان، يتملقهم ويضع مصالحهم فوق كل اعتبار، وأنهى حكمه بالعنف والإرهاب فكرهه رعاياه اليهود. وقد اشتهر هو وأبناؤه من بعده بحب البناء والتشييد.

وبعد وفاته عام ٤ ق.م، قسم ملكه حسب وصيته بين أبنائه الثلاثة: أرخيلاوس وفيليبوس وأنتيباس، فكان من نصيب أرخيلاوس يهوذا والسامرة وأدوم، ومن نصيب فيليبوس وأنتيباس مناطق أخرى أقل أهمية.

حكم أرخيلاوس عشر سنين، ولكنه كان قاسياً مستبداً، فعزله الإمبراطور الروماني أغسطس، ونفاه إلى بلاد الغال، وتولى حكم يهوذا بعد ذلك حكام من الرومان بالتعاقب.

وفي سنة ٤١ ميلادية أسند كلاوديوس الإمبراطور الروماني مملكة يهوذا والسامرة إلى أجريباس الأول حفيد هيرودوس الكبير، فحكم البلاد حتى وفاته عام ٤٤ ميلادية، وبعد موته، وضع الإمبراطور الروماني يهوذا من جديد تحت إمرة حكام من الرومان، ولكنه بعد سنوات قلائل أسند إلى أجريباس الثاني ابن أجريباس الأول حكم بعض المناطق، كما جعل له سلطات إدارية معينة فيما يتعلق بأورشليم، ولم يحظ أجريباس الثاني بحب اليهود أو احترامهم.

وفي هذه الأثناء كان الحكام الرومان الذين تولوا حكم بقية البلاد، ومنها يهوذا، يواجهون مشاكل داخلية متنوعة. وساءت الأمور في عهد الحكام

الرومان وعلى الأخص في عهد فيلكس وفستوس ومن بعدهما فلوروس الذي تولى الحكم عام ٦٤ ميلادية. وفي عهده قامت حرب بين اليهود والرومان، بدأت عام ٦٦ ميلادية وانتهت عام ٧٠ ميلادية وذلك باستيلاء طيطوس الروماني على أورشليم وتدميرها هي وهيكلها.

ومنذ عهد طيطس لم تقم لليهود قائمة في تاريخ فلسطين.

وفي أوائل القرن السابع الميلادي قامت الدولة العربية، واستولت على ما بين النهرين وكذلك على سوريا، فدخلت فلسطين في حيز تلك الدولة منذ القرن السابع، بل صارت قلب العالم العربي.

# الفهرس


مقدمة ........................................ ٥
مضمون العهد القديم ........................... ١١
أسماء الشعب العبري............................ ١٧
طبقات رجال الدين عند اليهود .................. ٢٧
الفرق اليهودية................................. ٣١
الهيئات اليهودية .............................. ٣٩
التقويم عند العبريين........................... ٤١
الدين والأعياد الدينية عند العبريين............ ٤٣
كتاب العهد القديم............................. ٦٤
الكتب التاريخية في العهد القديم ............... ٧٢
سفر يشوع..................................... ٧٥
سفر القضاة ................................... ٨١
سفر راعوث .................................... ٨٧
سفرا صموئيل الأول والثاني...................... ٨٩
سفر الملوك الأول والثاني ....................... ٩٣
سفرا الأيام الأول والثاني........................ ١٠١
سفرا عزرا ونحميا............................... ١٠٧
سفر إستير..................................... ١١٢